التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 143 السنة السابعة عشر - أكتوبر 2019

صندوق التعطل «حصّالة» الأجيال

العاطلون بين فرص العمل وبرامج التدريب المتعددة

8

هيئة الإتحاد الوطني: حركة وحدّت الشعب

9

الإعلام الرقمي ينتصر لإسراء غريب

13

موقفنا

أمن الخليج

لقد رأى العالم بوضوح كيف أثرّ الهجوم الذي استهدف منشأتين نفطيتين في المملكة العربية السعودية الشقيقة على أسعار النفط في السوق العالمية مباشرة، فالمملكة بالذات أكبر منتج للنفط في العالم، إذ تنتج 10 في المئة من مجمل انتاج النفط العالمي، حيث أدى استهداف منشأتي النفط فيها إلى انخفاض بلغت نسبته 50٪ من الانتاج النفطي السعودي، وتجري الجهود على قدم وساق للعودة السريعة للمستوى الذي كان عليه.

مثّل هذا الهجوم تصعيداً خطيراً ونوعياً للتوتر الذي تعيشه المنطقة على خلفية الأزمة بين الولايات المتحدة وإيران. وهذا التصعيد لا يمس فقط باستقرار دول المنطقة وسلامة شعوبها وإنما يمس منظومة الأمن العالمي كاملة، بالنظر إلى ما تمثله منطقة الخليج العربي من أهمية اقتصادية واستراتيجية، مما يتطلب ضمان الأمن والإستقرار فيها، واحترام سيادة جميع الدول وحماية حدودها من المخاطر.

انطلقت دعوات من دول وجهات كثيرة بينها الإتحاد الأوروبي والصين وروسيا بضرورة ضبط النفس في المنطقة، كما أدان الأمين العام للأمم المتحدة الهجوم، داعياً لعدم التصعيد وضبط النفس وسط التوترات المتزايدة، والامتثال للقانون الدولي.

وهناك شعورفي المنطقة وخارجها من أن أي انزلاق نحو المواجهة العسكرية سيؤدي إلى انفجار واسع في الإقليم من الصعب التحكم في مساراته، ومعروفة القاعدة الراسخة التي تقول بأنه يمكن البدء بالحرب، لكن لا أحد يستطيع توقع ما ستؤدي إليه من كوارث، لذلك فإن الحرب ليست خياراً أمام دول المنطقة، وليست من مصلحتها، فهذه المصلحة تكمن في إرساء تفاهمات راسخة تبعد شبح هذه الحرب وويلاتها.

بيانات الإدانة الدولية خطوة جيدة، لكنها ليست كافية. العالم كله، خاصة الدول صاحبة الاقتصادات الكبرى التي تعتمد كثيراً على النفط المنتج في السعودية وفي بقية دول المنطقة أمام مسؤولية دقيقة. فالمطلوب فرض آلية دولية تحت رعاية الأمم المتحدة، مدعومة من الدول الكبرى بما فيها الصين وروسيا، وبمشاركة دول المنطقة، تضمن سلامة الانتاج النفطي وحرية الملاحة.

وهذا لن يكون ممكناً إلا بنزع فتيل التوتر وتسوية النزاعات سلمياً، وإطفاء كافة بؤر التوتر، والكف عن التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى، وهو تدخل بلغ حد إيجاد أذرع عسكرية فيها تدار من الخارج، في انتهاك واضح للسيادة الوطنية للدول وتمزيق لنسيجها الوطني، وإملاء خارجي على خياراتها وخيارات شعوبها، التي يهمها أن تكون سيّدة مصيرها.

التقدمي

القومي والتقدمي يحييان اليوم العالمي للديمقراطية

يُحيي العالم في الخامس عشر من سبتمبر من كل عام اليوم العالمي للديمقراطية، بقرار من الأمم المتحدة التي اختارت أن يمثل هذا اليوم لهذا العام فرصة للتذكير بأن الديمقراطية مرتبطة بالناس. وإذ تسعى الأمم المتحدة من خلال هذا اليوم الدولي للديمقراطية حث جميع الحكومات على احترام حقوق مواطنيها في المشاركة في الديمقراطية مشاركة فعالة وجوهرية وهادفة، فإن المنبر التقدمي والتجمع القومي في هذه المناسبة يدعوان إلى استلهام القيم التي يمثلها اليوم العالمي للديمقراطية لهذا العام داعين الى إعادة بث الروح في الميثاق الوطني بأطلاق مبادرة للحوار الوطني تمكننا من الخروج من هذه الأزمة السياسية الخانقة التي باتت تثقل كاهل الوطن والمواطن بأرتداداتها السلبية على كافة شرائح المجتمع بما فيها طبقة التجار ورجال الأعمال ناهيك عن الفئات المسحوقة والكادحين . وقد تجلت سمات هذه الأزمة بوضوح في التضييق على حرية الرأي والتعبير وهو ما اعطى فسحة لانتشار الفساد والمحسوبية وسرقة المال العام وتدني المستوى المعيشي للمواطنين وارتفاع نسب البطالة وتراجع مستوى الخدمات العامة في مجالي الصحة والتعليم وتعطيل وعرقلة تطوير البنى التحتية.

ويرى التقدمي والقومي أن إنهاء حالة التراجع والتدهور على صعيد حرية العمل السياسي، والحريات الحقوقية والنقابية والصحفية والإعلامية وهيمنة الحلول الأمنية على المشهد السياسي، والعودة لروح ومكتسبات ميثاق العمل الوطني لن يتم الا بمبادرة جريئة من جانب السلطة السياسية بالدعوة لحوار وطني شامل مع المكونات والقوى السياسية في البلاد تضمن خلالها حرية العمل الحزبي في بيئة مدنية تمكنه من النقد البناء والمشاركة الفعالة في اتخاذ القرار.

ولن يتم ذلك إلا من خلال إطلاق الحريات العامة، بما فيها حرية التعبير والتنظيم ورفع القيود على الحريات الصحفية والإعلامية، وإطلاق سراح معتقلي الرأي، وإعادة الزخم لعمل الجمعيات السياسية ، وهي جميعها تشكل منطلقات ضرورية لإخراج البلد من الوضع الذي تراوح فيه منذ عام 2011، دون اغفال استخلاص الدروس الضرورية من ذلك، بغية التأسيس لمستقبل قائم على الشراكة السياسية الفعالة بين الدولة والمجتمع، ومن أجل تضافر الجهود في سبيل البناء الديمقراطي، والنهوض بالمستوى المعيشي للشعب والحفاظ على المكتسبات والضمانات الاجتماعية المتحققة، خاصة مع تفاقم الصعوبات الكبيرة التي يعاني منها الوضع الاقتصادي وتفشي حالة التدمر والسخط وسط فئات الشعب والتجار ورجال الأعمال.

ويدعو التجمع القومي والمنبر التقدمي الدولة وكافة القوى السياسية البحرينية إلى الالتقاء على أجندة وطنية تخرجنا من المأزق الراهن وتنأى بنا عن الاحتقان بعيد عن الطرح الطائفي والمذهبي وخطابات الكراهية والتدخلات الخارجية المرفوضة. كما يدعوان إلى تضافر جهود الجميع، في الدولة والمجتمع، من أجل فتح الطريق أمام غد مستقر وآمن تكون مقوماته الوحدة الوطنية والمشاركة السياسية والحريات العامة والعدالة في توزيع الثروات ومكافحة الفساد ووقف العبث بالمال العام.

المنبر التقدمي
التجمع القومي

ملتقى «التقدمي» يناقش قضايا الشباب في البحرين

نحتاج إلى إلى رؤية استراتيجية متكاملة تضع الشأن الشبابي في صدارة الاهتمام

أكدّ رئيس ملتقى الشباب البحريني الأستاذ حسين الإسكافي حاجة البحرين إلى التخطيط الاستراتيجي وإطلاق دراسات وسيناريوهات لاستشراف مستقبل كافة القطاعات الحيوية ووضع الخطط والسياسات بناء على ذلك، من أجل تأمين مستقبل أفضل للشباب في البحرين.

وقال الإسكافي في ندوة أقامها ملتقى التقدمي الأسبوعي بالتعاون مع قطاع الشباب والطلبة بتاريخ 2019/09/22 عن: «واقع الشباب في البحرين التحديات... المعوقات .. استشراف المستقبل»: «نحن بحاجة إلى إستراتيجية تركز على المواضيع التالية: مستقبل رأس المال البشري والشباب ومستقبل التكنولوجيا والأنظمة الذكية ومستقبل الاستدامة والبيئة وتغير المناخ ومستقبل البنية التحتية والمواصلات ومستقبل الصحة ومستقبل التعليم ومستقبل التنمية المستدامة ومستقبل بيئة الحياة الإيجابية والسعيدة ومستقبل الطاقة ومستقبل الاقتصاد والامن الاقتصادي والتجاري ومستقبل الموارد المالية ومستقبل الحكومة والخدمات الحكومية ومستقبل العلاقات الدولية والسياسية ومستقبل الأمن المائي والغذائي ومستقبل الأمن الالكتروني».

وأكدّ على الحاجة «لصياغة قوانين تصب في صالح الشباب باعتبارهم العصب الأساسي لمستقبل أي نهضة .. القوانين بحاجة إلى أن تأخذ صفة الإلزام وخصوصا في بعض الجوانب التي تتعلق بالأمور المعيشية».

من جانبه أكدّ الرفيق مجيد فلاح نائب رئيس قطاع الشباب والطلبة بالتقدمي، في الندوة نفسها، إنه «على الرغم من احتفاء المملكة بمئوية التعليم وريادة التعليم النظامي في المنطقة إلا أن واقع التعليم متراجع بشكل كبير مما نتج عنه مخرجات تعليمية ضعيفة لا تمت لمتطلبات سوق العمل في بعض التخصصات.

وأضاف: «على الرغم من مصادقة مملكة البحرين على اتفاقية مكافحة التمييز في مجال

التعليم الصادرة من المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة بتاريخ 14 ديسمبر 1960، حيث أصبحت جزءًا من منظومتها القانونية الوطنية وتبني مبادئ الشفافية دستورياً إلا أن وزارة التربية والتعليم في البحرين لم تعد تنشر نتائج البعثات، واستحدثت نظام تقييم جائراً يعتمد على المقابلة الشخصية للطالب بالإضافة لمعدل النجاح والامتحان الكتابي دون معايير محددة، مما يزيد فرص التلاعب وظلم الطلبة المتفوقين المستحقين للبعثات.

وأكدّ هاشم أنه لن يكون بالإمكان التغلب على هذه المشاكل إلا عن طريق وضع الشأن الشبابي في صدارة الأولويات والاهتمامات.

الذكرى 33 لاستشهاد المناضل الدكتور هاشم العلوي

في هذا اليوم الثامن عشر من سبتمبر تمر الذكرى 33 لاستشهاد رفيقنا الدكتور هاشم اسماعيل العلوي في عام 1986، في حقبة قانون أمن الدولة السيئة الصيت، عندما شن جهاز الأمن حملة اعتقالات واسعة شملت العشرات من مناضلات ومناضلي جبهة التحرير الوطني البحرانية في واحدة من أقسى الحملات البوليسية على الجبهة، ردا على تصاعد نضالها هي والقوى الوطنية الأخرى لإعادة الحياة النيابية التي انهيت بحل المجلس الوطني في عام 1975، و إشاعة الحياة الديمقراطية في المجتمع والدفاع عن حقوق الشعب.

وإذ نحيي ذكرى رفيقنا الشهيد الدكتور هاشم العلوي ما زلنا نطالب بتحقيق من أجل الانصاف والعدالة الانتقالية لضحايا القمع في حقبة قانون أمن الدولة.

إن إحياء ذكرى الشهيد مناسبة للتأكيد على الدروس والعبر ولكي لا تتكرر تلك الحقبة السوداء في تاريخ الوطن والشعب، فالحل هو في إشاعة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية.

المجد والخلود لذكرى الشهيد الدكتور هاشم العلوي.

المنبر التقدمي
١٨ سبتمبر ٢٠١٩

فضفضة

صندوق التّعطل .. «حصّالة» «الأجيال

عيسى الدرازي

في الأيام التي سبقت إقرار استقطاع نسبة 1٪ من رواتب الموظفين في القطاعين الحكومي والخاص لتأسيس صندوق تشاركي، صندوق التأمين ضد التعطل، ظهرت آراء ودعوات مشجعة لهذا التوجه من باب دعم مساهمة الجميع في دعم قضية العاطلين عن العمل والمتعطلين لأي سبب، وكانت تلك الدعوات تقول بجدوى هذا القانون وأهميته كونه يسهم في عملية تضامنية مجتمعية من قبل الموظف والحكومة على حدٍ سواء لرفد هذا الصندوق المزمع بالموارد اللازمة حتى لا يكون هناك مواطن متعطل دون أدنى مساعدة ولو صغيرة.

حصل الصندوق على الموافقة وتأسس. ومرّت السنوات والاستقطاعات لا تتوقف وهي المستمرة حتى اليوم، ولكن الغريب أن شكاوى العاطلين كذلك لا تتوقف وقوائم العاطلين لا يتقلص، فيما صندوق التأمين ضد التعطل يزداد تخمة.

تخمة صندوق التأمين ضد التعطل لفتت الانظار، وتقدّمت الحكومة بطلب تمويل المتبقي لمستحقات المستفيدين من برنامج التقاعد الاختياري، وهو ما تصدى له مجموعة كبيرة من النواب إلا إن الأغلبية قررت المضي قدماً في هذا التوجه وتمرير تعديل على مشروع قانون التأمين ضد التعطل، يجيز للحكومة تمويل مشروع التقاعد الاختياري من فائض الصندوق، من خلال تحويل مبلغ وقدره 230 مليون ديناراً من فائض الحساب فيه إلى الحساب العمومي للدولة لمرة واحدة فقط، وأجاز التعديل لمجلس الوزراء تخصيص الميزانيات اللازمة لصندوق التعطل في حالة حدوث العجز في الصندوق.

ورغم أن استقطاع مبلغ 1٪ لازال مستمراً على الموظفين في القطاعين الخاص والعام، تظهر تصريحات من رئيس لجنة الشؤون المالية والاقتصادية بمجلس النواب يبدي فيها مقترحاً يجيز للحكومة الاقتراض من الصناديق المحلية كصندوق حساب احتياطي الأجيال وصندوق التأمين ضد التعطل. قد يكون جوهر مقترح رئيس لجنة الشؤون المالية والاقتصادية لحماية البلد من التوجه نحو الاقتراض الخارجي لما له من عواقب وشروط والتزامات معقدة وكبيرة والاستعاضة عن ذلك بالاقتراض من الصناديق المحلية التي تمثل مفهوم «الحصّالة»، واللجوء إلى هذه «الحصالة» دائما ما يكون أبعد الحلول بل وآخرها، وبدلاً من التفكير أول الأمر في كسر الحصّالة يجب التفكير ملياً في كافة الحلول والخيارات الأخرى الواضحة والمبينه في تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، وتقارير لجان التحقيق البرلمانية في التقاعد والأراضي وغيرها.

«تقدّم» تقترح تعديلات على قانون العمل لإعادة الاعتبار للعمالة الوطنية

تقدمت كتلة «تقدّم» باقتراح بقانون إلى مجلس النواب، يتضمن تعديلات جوهرية على قانون العمل البحريني في القطاع الأهلي، وترتبط جملة التعديلات بشكل وثيق بالحقوق العمالية للعمالة المواطنة، ومن بين أبرز مضامين المقترح إضافة مادة جديدة تنص على الزام اصحاب الأعمال والرجوع الى وزارة العمل ومراجعة كشوف الباحثين عن العمل من العاطلين البحرينيين عند عملية التوظيف في القطاعات المختلفة، لتدارك ما أحدثه إلغاء المادة المتعلقة بالبحرنة في القانون الصادر في العام 1976 منذ سنوات قليلة.

كما نوّهت الكتلة إلى أن غياب وإلغاء تلك المادة قد شجع أصحاب الأعمال على توظيف الأجانب على حساب البحرينيين، مما خلق تشوهًا كبيراً وملحوظًا في سوق العمل البحريني، وأملت الكتلة أن تتمّ الموافقة على تمرير التعديلات المطلوبة والمقترحة على بعض مواد القانون بما يحقق إعادة التوازن لسوق العمل ويوقف التشوهات القائمة والتي اضرت كثيرا بمصالح العمالة الوطنية والاقتصاد الوطني واستنزفت ثرواتنا الوطنية بفعل تغوّل العمالة الأجنبية.

على صعيد آخر تعتزم "تقدّم" التقدم خلال دور الإنعقاد الذي شارف على الإنعقاد بالعديد من الأسئلة الجوهرية والمناقشات العامة حول العديد من القضايا المتعلقة بالأوضاع المعيشية وأوضاع المتقاعدين وقضايا الفقر والقروض وقضايا أخرى مرتبطة بالبيئة والثقافة والأوضاع والاقتصادية والسياسات المالية للدولة وقضايا الإسكان والتعليم والصحة والبنية التحتية.

اعتراضات واسعة على معارض الجاليات الأجنبية للتوظيف

لاقت اعتراضات نواب كتلة «تقدّم» البرلمانية على اقامة معارض خاصة لتوظيف العمالة الأجنبية، أصداء واسعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الاعلام المختلفة، في وقت تشهد البحرين حالة غير مسبوقة من ارتفاع معدلات البطالة في اوساط الشباب البحريني، الأمر الذي سمح بتداعي كافة شرائح المجتمع بالتناغم مع ما طرحته الكتلة من اعتراضات جوهرية على الاستمرار في زيادة الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية على حساب وإفقار العمالة الوطنية، حيث طالبت الكتلة باستدعاء الجهات المنظمة للمعرض المذكور ومحاسبة الشركات المشاركة فيه خارج القانون.

يذكر أن زارة العمل، وفي ضوء ذلك، أوقفت المعرض وأعلنت عن استدعاء المنظمين له وتحذيرهم من مغبة تجاوز القوانين المعمول بها.

مطرقة البرلمان

الهروب للأمام لن يحل أزمتنا السياسية

عبد النبي سلمان

في بيانهما المشترك بمناسبة اليوم العالمي للديمقراطية الذي تحتفي به الأمم المتحدة كل عام، وصادف الخامس عشر من سبتمبر/ أيلول المنصرم، دعا المنبر التقدمي والتجمع القومي مجدداً إلى انهاء ما وصفاه ب»حالة التراجع والتدهور على صعيد العمل السياسي والأوضاع المعيشية والحريات الحقوقية والنقابية والصحفية والإعلامية ومستوى الخدمات، وإلى وقف هيمنة الحلول الأمنية على كامل المشهد السياسي في البحرين، مذكريين بما ذهبت إليه مناشدات الأمم المتحدة لجميع حكومات العالم باحترام حق الممارسة الديمقراطية باعتبارها مرتبطة بالناس ومصالحهم وحرياتهم، داعيين الى بث الروح في ميثاق العمل الوطني عبر اطلاق مبادرة وطنية شاملة للحوار.

بالفعل، نحن في حاجة ماسة للتذكير بهذه الدعوة ومضامينها باستمرار، في ظل معايشتنا اليومية المستمرة منذ سنوات لتعطل آليات عمل ومشاريع وخطط وبرامج ورؤى كثيرة على المستوى الوطني نتيجة استمرار حالة المراوحة التي علينا أن لا نخفي رؤوسنا في الرمال متحاشين مجرد الحديث حولها، فالمتابع للمشهد العام في البحرين يكاد لا يخطىء أبداً تلك الانعكاسات والارتدادات التي شلّت وأعاقت جوانب عديدة من مسار الحياة العامة في البحرين، ونحن هنا لا نشير فقط إلى تراجع المسار السياسي فقط، فالعديد من الجوانب الاقتصاددية والمعيشية والاجتماعية والثقافية تراجعت بفعل عوامل متعددة، لعلّ في مقدمتها غياب المشروع الوطني الجامع الذي بالإمكان الالتفاف حوله والترويج له ودعمه؛ إذا ما صدقت النوايا لدى الجميع، وعلى الأطراف جميعها تكمن مهمة الإسهام بجدية ومسؤولية، بعيداً عن كل ترسبات السنوات المنقضية بحلوها ومرها.

المشكلة التي نواجهها جميعاً أن غياب هذا المشروع الوطني الذي من الممكن أن يأخذ في الاعتبار كل المتغيرات على الأرض وفي الإقليم وحتى في العالم من حولنا، يجعلنا نعود مرة تلو الأخرى للمطالبة بمشروع ينطلق من ثوابت ميثاق العمل الوطني الذي تمّت المصادقة عليه مطلع الألفية الجديدة، والذي كان بحق مشروعًا وطنيًا تاريخيًا ما أحوجنا للإهتداء به، شريطة أن لا نكتفي بذلك؛ بل ندعو مخلصين لاعتباره قاعدة توازن تحقق جانبًا مهمًا من التوافق المطلوب بداية بين القيادة والشعب بكل شرائحه وفئاته وعلى قاعدة تحقيق العدالة والمشاركة للجميع.

أما لماذا تستمر القوى السياسية الحية في الدعوة إلى استعادة وهج الميثاق وبدء صفحة جديدة من الحوار الوطني الشامل، فتلك مسألة لا يمكننا تجاهلها، خاصةً مع تراجع واقعنا السياسي بعد حزمة من الوعود والتعهدات التي أسس لها ميثاق العمل الوطني وما نتج عنه من تداعيات إيجابية، حيث أضحت الدعوة لاستعادتها جزء من الحنين لتلك الفترة المشرقة التي انتعشت وازدهرت فيها كل مقومات المجتمع تقريبا، حالة الحنين تلك بذاتها ربما تسببت في افراز العديد من الظواهر السلبية التي بدأت في الظهور منذ فترة وسط مجاميع واسعة من الشارع البحريني.

شرائح واسعة من الناس تتحدث بيأس وقنوط وتذمر غير مسبوق نتيجة اوضاعه المعيشية المتردية، والبعض الآخر يتحدث عن تراجع مستوى الخدمات من تعليم وصحة وإسكان وغيرها، فيما أصبحت فئة التجار هي الأخرى في حالة من التذمر والإنكماش نتيجة تداعيات الأزمة المالية العالمية وارتداداتها على الواقع الاقتصادي والمالي والتجاري، ضمن اقتصاد صغير كاقتصادنا الوطني المعتمد على سلعة وحيدة هي النفط الذي يمثل اكثر من 85٪ من ناتجنا المحلي، وما يتأثر به بطبيعة الحال من تداعيات إقليمية وعالمية، يزيدها سوءاً غياب رؤيتنا الوطنية الجامعة والمتوافق عليها لإيجاد سلة من الحلول التي بات يتطلع إليها الجميع دون استثناء، وأولهم باعتقادي من بيدهم القرار، في ظل منافسة إقليمية محتدمة وتداعيات اقتصادية عالمية وتحالفات متغيرة وحروب لا تريد أن تهدأ واستنزاف للثروات لا طاقة للدول الغنية قبل الفقيرة في منطقتنا على تحمّله.

إزاء ذلك نلحظ غياب وإلغاء لأولوياتنا المعيشية والتنموية لصالح أولويات اللاعبين الكبار والتي لا تعنينا كشعوب ودول، ومن مظاهرها الإستعداد الدائم للحروب التي نعرف جميعنا أنها ليست حروبنا، ولا طاقة لنا على الإستمرار في جحيمها إلى ما لا نهاية، والتي تحولت بسببها دول منطقتنا إلى مخازن لتكديس الأسلحة، فيما تبدد ثرواتنا بشكل مستمر لحساب اقتصادات ومشاريع حروب هي بكل بساطة حروب الآخرين في منطقتنا المزدحمة دوماً بالبوارج والأسلحة والقواعد الحربية والثروات المنهوبة والمضيعة على حساب تعطل مستمر في ديمومة وتطور عجلة التنمية المنشودة.

علينا جميعًا، حكومات وبرلمانات وقوى سياسية ومجتمعية، أن نتحلى بالجدية وبعد النظر والمسؤولية والشجاعة في مواجهة قضايا الإنسان والأرض والسيادة والمستقبل، تحسبًا للماثل والقادم من تحديات ومصاعب حتما لن تحل بممارسة هروبنا المستمر للأمام كما هو حاصل الآن.

فلاح هاشم:

معارض توظيف الأجانب نتاج التراجعات في البحرنة

قال عضو «تقدّم» النائب فلاح هاشم إنه ليس فقط معارض التوظيف فقط هي التي تعنى بتشغيل الوافدين وبما يخالف القانون، بل تعدى الأمر إلى قيام بعض الشركات – بما فيها شركات بحرينية مع الأسف – بالسير على نفس الخطى؛ وذلك عندما شعرت بغياب المحاسبة من الجهات المعنية. في تمييز صارخ من قبل هذه الشركات ضد العمالة الوطنية وذلك باقتصار طلباتها للتوظيف على إحدى الجنسيات الآسيوية.

وأضاف هاشم: أن وزارة العمل مدعوة أن يكون لها موقف عملي وحازم تجاه هذه المخالفات، وإلا فهى شريكة في المخالفة، وتستدعي أن يكون لنا موقف حيال ذلك، فتكرار معارض توظيف الجاليات الوافدة ما هو إلا نتاج تراجع كبير – قانونياً وتشريعياً ورقابياً– في تمكين وتوطين الوظائف، ومحاربة مافيات التوظيف الأجنبية ووكلائهم من المتنفعين من ورائها، والتي تمكنت من سرقة لقمة عيش أبنائنا وإخواننا، بل تعدّت إلى أن تتحكم بمؤسسات تجارية وشبه حكومية.

وعبر هاشم عن تطلعه لأن تقوم أعضاء لجنة الخدمات الإسراع بالنظر في مجموعة من المشاريع المعنية بتعديل قانون العمل من أعضاء مجلس النواب، بما فيها مشروع القانون المقدم مني في الدور التشريعي السابق، والذي ينص على "أولوية البحريني وحصر بعض الوظائف للمواطنين فقط"، لما له من حاجة ماسة، وقبل فوات الاوان.

يوسف زينل: بحثنا مع سمو رئيس الوزراء عدة ملفات ملحة

قال النائب يوسف زينل إن وفدًا نيابيًا التقى صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء، واستعرض مع سموه ملفات عديدة في إطار التعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وبما يحقق مصالح المواطنين، حيث تمّ تجديد الحديث عن حاجة ملفات عدة للحلحلة، بينها ملف بعثات وزارة التربية والتعليم، واعتماد شهادات خريجي جامعات الطب الصينية، وملف توظيف الأطباء.

وأردف: كذلك، كان لاحتياجات المناطق والناس إلى المرافق والخدمات ومتابعتها وحثّ الوزراء المعنيين لزيارة الأماكن والقرى وغيرها والتواصل مع النواب وتلبية احتياجات المواطنين من الخدمات الرئيسية، نصيب من الحديث.

وقال زينل إن رئيس الوزراء عبرّ عن اهتمامه باحتياجات المحامين وحثّ السلطة التشريعية للإسراع في مناقشة وإقرار قانون المحاماة بما يليق بهذه المهنة كونها قضاء واقفًا، لكننا نلحظ وجود حاجة لتناغم الأجهزة التنفيذية المعنية مع هذا التعاطي، وترجمة التوجيهات على أرض الواقع وهو الأمر الذي شكّل أحد موضوعات اللقاء.

زينل: 4 أشهر لمحاولات تواصلنا مع وزارة الإسكان دون جدوى

وجه النائب يوسف زينل نقده لوزارة الإسكان، فيما يخصّ مستوى تواصل مسؤوليها مع أعضاء السلطة التشريعية، ساردا في هذا السياق تجربة مباشرة. وتساءل: هي تجربة نائب، فماذا عن تجارب المواطنين؟!

وقال زينل: تمّ الاتفاق مع الوزارة على تعيين مسؤول يحمل صفة (ضابط اتصال)، ليقوم بمهمة التواصل معنا كنواب، ويرد على طلبات واستفسارات الأهالي المنقولة عبرنا، إلا أن التنفيذ كان مضادا لذلك، حيث المحاولات المتكررة للتواصل معه دون جدوى، وحيث الانتظار لمدة قاربت الأشهر الأربعة للحصول على تواصل واحد!

وتابع: ما يجري هو خلاف ما نعهده في سياسة الوزير باسم الحمر، وقد لا يتحمل هو مسؤولية ما يجري لكنه بالتأكيد معني باستلام الرسالة والتحقق من الأسباب ثم معالجة الخلل الموجود.

وأوضح زينل أن النائب هو الواجهة في هذه الحالة، وبدل أن تفتح له أبواب التواصل ويتم التعاطي معه بشفافية تامة، يتحمل مسؤولية الأداء المتدني لبعض الجهات أمام الناس، لترتكب الوزارات خطأين لا خطأ واحد، مرة بسبب عدم حلحلة طلبات الأهالي وأخرى بسبب إضعاف السلطة التشريعية وتصويرها سلطة بلا سلطات!

واختتم زينل تصريحه بالتأكيد على عدم السكوت على ذلك، مؤكداً: سنستخدم كل الوسائل ليس فقط لإيصال صوت المواطن بل لايجاد الحلول لمشاكله المزمنة مع هذه الوزارة التي تتولى ملف الإسكان.

«الصناعة» : إلغاء 33.4% سجلاً من أصل 242690 خلال 3 أعوام

أظهرت البيانات الموجودة في نظام "سجلات" التابع لوزارة الصناعة والتجارة والسياحة، وجود 161492 سجلاً تم إلغاؤه من أصل 242690 سجلاً تم إنشاؤه منذ بدء نظام السجل التجاري في البحرين خلال العام 2016 أي ما يمثل نسبته 33.4٪، مقابل 81196 سجلاً نشطاً يتم العمل بهم الآن.

وأشارت إلى أن هناك 52 منشأة أعلنت إفلاسها، و 251 منشأة مؤسسة تحت الرهن، 13 منشأة تحت التصفية أو الحجز التحفظي، بينما لا توجد سجلات مجمدة، و 15 منشأة تحت الرهن والحجز التحفظي، بجانب 16 سجلاً جديداً أو فرعاً تم رفض تسجيله.

بينما أظهرت أن هناك 3847 سجل دون ترخيص وتم الغاؤها قانونياً، و 5815 سجل نشط دون ترخيص، بينما 21467 سجل ملغي قانونياً، وسجل عدد السجلات الملغية لبيع المحل أو تنازل عنه 10202 سجل تجاري.

أما الملغي مع استيفاء شروط الإلغاء فبلغت 75520 سجلاً، في حين لا يوجد منشأة مخالفة أو مجددة، بينما 25149 سجلاً ملغياً دون استيفاء شروط الإلغاء، و 1322 سجلاً ملغياً لدمج الفرع بفرع آخر. أما السجلات الملغيه إدارياً فبلغت 17374 سجلاً، ولا وجود لسجلات غير مجددة.

جريدة "الوطن" ٢٠١٩/٩/١٧

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

نقابة جرامكو تطالب بتعديل نظام الإجازة السنوية

بعد سنوات من مطالبة نقابة عمال شركة الخليج لدرفلة الألمنيوم «جارمكو» تم الموافقة من قبل إدارة الشركة على مطلب النقابة الحق العمالي بتعديل نظام الإجازة السنوية المعمول به في الشركة سابقاً لجميع العمال من 28 يوم لـ 30 يوم تماشياً مع قانون وزارة العمل مع إرجاع نظام إحتساب يوم واحد يضاف في رصيد العامل عن كل 5 سنوات عمل متواصله وبأثر رجعي من عام 2012م..

كما تتقدم نقابة عمال جارمكو بالشكر والإمتنان لإدارة الشركة بإستجابتها لمطلب النقابة .. و عليه ترجوا النقابة من جميع العمال التقيد باللوائح وضوابط العمل والسعي الحثيث في تحسين الإنتاج والجودة والتقيد بجميع إشتراطات الصحة والسلامة المهنية.. كما ننوه لأعضاء جمعيتنا العمومية التقيد بتوجيهات النقابة والإلتزام بها .. شكراً لمواقفكم التضامنية وتقديركم الى إرشادات النقابة التي تصب في مصلحه العمال ومصلحة سير العمل والشركة.. وسنوافيكم بآخر المستجدات .. نقابة عمال جارمكو.

«البحرنة» بين التوظيف وقطاع المقاولات

يجب أن يتوسع مفهوم «البحرنة» بشكل عملي، ليشمل قطاعات أخرى مهمة تتجاوز مفهوم التوظيف فقط. لكن، عندما نلاحظ مستوى التردد والتلكؤ في معالجة ملف «بحرنة الوظائف» فإن توسعة مفهومه ليشمل مشاريع أخرى، ستكون لاغية وغير موجوة أصلاً. بعيداً عن غالبية معارض التوظيف الشكلية، وبعيداً عن الأرقام غير الحقيقية لأعداد العاطلين عن العمل، وبعيداً عن توظيف الشاب البحريني في وظائف شبه عادية في شركات ومؤسسات وطنية لنيل الحصول من وراء ظهره على مجموعة من «الفيز» لعمالة أجنبية رخيصة، ومن ثم طرد ذلك الشاب البحريني –بعد الاستفادة من تقييده في سجلات العاملين التابعة للوزارة– عبر التخلص منه ورميه خارج سوق العمل بطريقة قانونية ومن بعدها الذهاب لوزارة العمل للبكاء على موقفها من الطرد الشرعي واتهام البحرينيين بعدم قبولهم العمل. حينها سيكون الحديث عن بحرنة بقية المشاريع الأخرى لا قيمة له على الإطلاق. يبدأ «الشغل الصح» في توطين مشاريع البحرنة من أروقة وزارة العمل التي بدأت مؤخراً بتطفيش الباحثين عن العمل. تعطل بقية المشاريع سيكون بسبب عدم نجاح الوزارة في معالجة ملف العاطلين عن العمل بشكل جذري وممنهج، وهذا ما يُؤخر بقية مشاريع "البحرنة"

إن بحرنة التوظيف وبحرنة العمل وبحرنة الخدمات والإنشاءات والمقاولات وإدراجها كلها في مختلف مشاريع البنى التحتية للحكومة، يعتبر من أهم توجُّهات الدولة كما يبدو، لكن هناك اليوم من يقوم بتبطيء هذه العملية بشكل أو بآخر، مما يؤدي إلى تعطل بقية الأفكار والمشاريع الأخرى المتعلقة بالبحرنة، ومن هنا يجب أن تكون "البحرنة" مرهونة في سياقها العام وفكرتها النهائية بما يجب التركيز عليه من قضايا التوظيف أولاً، لنبدأ ببحرنة الوظائف وليس نهايتها بحرنة قطاع المقاولات لمشاريع الإنشاءات الحكومية وغيرها من المشاريع الأخرى.

حسين التتان – الوطن: ٢٧ سبتمبر ٢٠١٩

عمال يطالبون وزارة «العمل» بالتدخل لحل موضوع أجورهم المتأخرة

طالب عدد من عمال منتجع سياحي وزارة العمل بالتدخل لحل موضوع رواتهم المتأخرة قرابة الشهرين وقال أحد العمال بأنهم لم يتقاضو رواتب شهر أغسطس حتى الآن، وهذا التأخير سبّب لهم أزمة مالية مما صعب عليهم اخذ مستلزمات المدرسة.

وبيّن عامل آخر بأن عدم اكتراث الشركة بدفع أجور العمال دعاهم العمال إلى إعلان هذا الخبر ومطالبة وزارة العمل بالتدخل والاجتماع بالشركة من أجل تسوية الامر ودفع كل مستحقات العمال.

وأضاف بأن الامر يحتاج إلى استعجال بسبب عدم توقف مدخولهم، مما جعلهم في وضع صعب.

موقع alkhabaronline.bh
2019/9/ 24

العاطلون بين فرص العمل وبرامج التدريب

تستمرمسألة تشغيل الباحثين عن العمل في تصدّراهتمامات الرأي العام والجهات المعنية في السلطتين التشريعية والتنفيذية، وهى مسألة قديمة تتجدد بين حين وآخر وتثير من القلق والهواجس الكبيرة، خاصة إذا ما عرفنا من أنها تتنامى في أوساط الخريجين المؤهلين وحملة الشهادات العليا من أطباء ومعلمين وممرضين وإعلاميين وغيرهم من أصحاب تخصصات تشغلها ايادي عاملة وافدة في القطاعين العام والخاص .

فلاح هاشم

وبإستعراض سريع لبعض البرامج والمعالجات السابقة بدءً من خطة «العشرة آلاف متدرب» والبرنامج الوطني لتدريب وتأهيل العاطلين في الثمانينات القرن الماضي، ثم الخطة الخمسية ومشروع «نافع» لتوطين البحرينيين في بداية الالفية، والذي نصت ديباجة تعريفه على انه مشروع وطني يهدف إلى توطين بعض المشروعات الصغيرة في المملكة لمساعدة العاطلين عن العمل والأشخاص الراغبين في مزاولة نشاطات خاصة، والحد من ظاهرة الإعتماد على الدولة في توفير وظائف، وصولاً إلى مخرجات دراسة «ماكنزي» التي بيّنت أن مستوى البطالة في البحرين في بداية الآلفية بلغت أكثر من 16 في المائة بعدد يتراوح بين 16 ألف و20 ألف عاطل، حين كان مجمل العمالة البحرينية في حدود 125 ألف.

والمهم في الدراسة ما تنبأت به من حاجة البحرين إلى تأمين 100 الف فرصة عمل للبحرينين خلال عقد من ذلك الوقت، أي في نهاية 2013 بمعدل 10 آلاف فرصة عمل سنوياً.

ومع المضي في خطوات العلاج التي تواصلت فيها البرامج والخطط المختلفة كالبرنامج الوطني للتوظيف الاول عام 2010 والذي أعلن وكيل وزارة العمل في ذلك الوقت والوزير الحالي للعمل جميل محمد علي حميدان أن الهدف من إطلاقه هو «تسهيل الإجراءات الحكومية على المواطنين وتشجيعهم على إنهاء معاملاتهم المرتبطة بوزارة العمل إلكترونيّاً وعلى مدار الساعة».

وبعيداً عن الجدل حول أعداد العاطلين والباحثين عن عمل ونسبتهم واستناداً لدراسة «مكنزي» التي تعتبر قاعدة علمية لما احتوته من أرقام مبنية على دراسات ديموغرافية اجتماعية واقتصادية، بحيث حددت أهمية توفير فرص عمل جديدة بمعدل 10 آلاف فرصة عمل سنوياً، ومع تنامي أعداد من يصلون إلى سن العمل والتي يمكن استنتاجها من الإحصائيات السكانية وكذلك إحصائيات وزارة التربية عن أعداد الطلبة المستجدين من المواطنين في العقدين الماضيين بمعدلات تفوق الـ 12 ألف سنوياً، ومقارنة ذلك بما تتضمنه إحصائيات هيئة التأمين الاجتماعي عن أعداد المستجدين في الهيئة والتي هى بعيدة كل البعد عن العدد المشار إليه في الدراسة السالفة الذكر (دراسة مكنزي).

وكمثال على ذلك فإن أعداد المستجدين خلال الربع الأول من هذا العام في القطاعين العام والخاص بلغ 1386 مستجد، وبلغ مع نهاية الربع الثاني في نهاية يونيو 2965 عامل، وإذا ما أخذنا هذا العدد كقاعدة فإنه لن يتجاوز مجموع ما سيتم توظيفهم كمستجدين خلال العام الـ 6000، وهذا المعدل يفوق الكثير من السنوات السابقة، وهذا ما يثبته أيضًا الفارق بين النمو في عدد السكان والتي لا تتوافق مع نمو العدد الاجمالي لمجموع قوة العمل الوطنية مما يطرح سؤالاً على الجهات المسؤولة أن تجيب عليه: «أين ذهب هذا الفارق؟!»

ولهذا لابد من الإشارة إلى المبادرات وخطط التدريب والتوظيف والبرامج المتواصلة لما لها من أهمية لمعالجة هذا الملف نذكر منها «البرنامج الوطني لتوظيف» الذي أطلقه صاحب السمو الملكي رئيس الوزراء باعتماده على المواطن كأساس للتنمية وسوق العمل، وما تبعه من توجيهات وبرامج اخرها كبرنامج «فرص» الذي اطلقه سمو الشيخ ناصر بن حمد لتوفير فرص تدريبية للشباب البحريني، وإذ نؤكد على أهمية هذه المشاريع وما تظهره من إهتمام القائمين عليها بهذا الملف الوطني نعتقد أنه من الأهمية لنجاح هذه الخطط الهادفة لمعالجة هذا الملف الإنطلاق من التالي:

أولاً: إن هذه الطاقات البحرينية لها الحق في العمل كما كفله الدستور وعلى الدولة تأمينه.

ثانياً : إن هذه الطاقات هى طاقات معطلة لايمكن أن ينهض المجتمع وينمو وتنجح خططه في التنمية المستدامة والتي تحرص مملكة البحرين على مواءمة خططها وبرامجها التنموية مع أهدافها. حيث ينص الهدف الثامن على تأمين العمل اللائق ويتضح ذلك من ما تضمنه برنامج عمل الحكومة منذ 2014.

وعليه لا يمكن أن تنجح اية خطة للتنمية المستدامة بإسنادها لأيدٍ عاملة وافدة في حين كفاءاتنا الوطنية معطلة. ولذلك نقترح بعض الخطوات العملية المساندة وتتمثل في الآتي:

• حصر دقيق وشفاف لجميع الباحثين عن العمل وبجميع التخصصات بما فيهم ممن هم يعملون بأقل من مؤهلاتهم على أساس أنها طاقات معطلة ولها الحق في أن تحصل على فرصتها في عمل يتلائم مع ما تحصلت عليه من علوم وخبرات علمية وعملية.

• تُترافق مع حصر جميع الشواغر والوظائف التي يشغلها وافدون في القطاعين العام والخاص.

• وضع خطة إحلال لكل هذه الشواغر والوظائف عبر تسكين كل العاطلين البحرينين في هذه الخطة، كلٍ وفق مؤهله ضمن برنامج زمني محدد يستوعب جميع الباحثين عن عمل بما فيهم ممن لديه مؤهل ولا يوجد له شاغر على اساس إعادة تأهيله بما يتقارب من التخصصات الشاغرة.

• أن تتشارك الدولة بسلطتيها التشريعية والتنفيذية مسؤولية وضع هذه الخطط بالتعاون مع القوى الفاعلة في المجتمع الاقتصادية والمدنية الممثلة لهذه الشرائح المجتمعية عبر حوار مجتمعي وتكون هى المسؤول عن تنفيذها وضمان نجاحها.

كما نذكر ببعض التوصيات والمخرجات التي صدرت عند مناقشة خطة إصلاح سوق العمل في بداية المشروع الإصلاحي ومنها:

• وضع دراسة لوجود الحد الأدنى من الأجور وفق مجموعة من الضوابط والمعايير، وإتخاذ قرار بتفعيله بعد التشاور مع الشركاء الاجتماعيين كالتنظيمات العمالية وأصحاب العمل وبما يتوافق مع تكاليف الحياة المعيشية.

• العمل على تشريعات تضمن تقارب القطاع العام والخاص في المزايا المختلفة لسوق العمل بما فيها الأجور والعطل وساعات العمل وبما يضمن الحماية الاجتماعية للعمالة الوطنية.

• إعادة النظر في التشريعات والإجراءات المنظمة لعلاقة العمل؛ سواء على مستوى قانون العمل، أو القرارات الوزارية الصادرة تنفيذًا له.

• إعادة النظر في مخرجات النظام التعليمي وملائمته لمتطلبات سوق العمل من تخصصات في الجامعات الوطنية سواء كانت تحت ادارة الدولة او القطاع الخاص، وكذلك خطة بعثات وزارة التربية ومدى ملائمتها لإحتياجات البلاد.

بصراحة

هيئة الإتحاد الوطني: حركة وحدّت الشعب

فاضل الحليبي

في الثالث عشر من ترين أول/ أكتوبر هذا العام تحل علينا الذكرى الخامسة والستون لتأسيس هيئة الاتحاد الوطني، ففي هذا التاريخ من عام 1954 اجتمع ممثلون عن الشعب البحريني في حسينية أحمد بن خميس في السنابس ليعلنوا عن تأسيس هيئة الاتحاد الوطني التي تشكلت من 120 شخصية وطنية، وانتخبوا ثمانية قادة للهيئة بالتساوي من أبناء الطائفتين الكريمتين في البلاد، وكانت أهم مطالبها:

1- تأسيس مجلس تشريعي .
2 – وضع قانون عام للبلاد جنائي ومدني .
3 – السماح بتأليف نقابة للعمال.
4- تأسيس محكمة عليا للنقض و الإبرام .

وهي كما نرى كانت مطالب إصلاحية تحتاجها الدولة الحديثة في هياكلها الإدارية والتشريعية والقضائية.

جاء تأسيس الهيئة لدرء فتنة طائفية ومذهبية أشعلها المستعمر البريطاني وأعوانه تطبيقاً لمبدأ (فرق تسد)، من خلال مندسّين في عزاء عاشوراء بالمنامة في نهاية عام 1953، ولكن العقلاء من أبناء الطائفتين أفشلوا المخطط الاستعماري البريطاني ومن تعاونوا معهم لشق الصف الوطني وزرع الفرقة والإنقسام بين أبناء الشعب البحريني.

كانت الوحدة الوطنية هي الصخرة الصلبة التي انكسرت عليها مؤامراتهم الخبيثة لضرب وتفتيت وحدة الشعب، ويسجل التاريخ السياسي الحديث للبحرين لهيئة الاتحاد الوطني بأنها وحدّت شعبنا في الظروف الصعبة، لهذا وقفت الجماهير معها وقدمت لها الدعم والمساندة، حيث وصل صوتها لكل مناطق ومدن وقرى البحرين، فكانت، عن حق، أول حركة سياسية علنية في البحرين.

لم تكن الهيئة حركة ثورية بقدر ما كانت حركة إصلاحية وطنية كان أغلبية قادتها من كبار الأعيان والوجهاء وشخصيات دينية، وكانت حركة علنية جماهيرية، يحضر مهرجاناتها الخطابية والتظاهرات التي تدعو إليها الآلاف من المواطنين بكل فئاتهم الاجتماعية والطبقية، لهذا انزعجت السلطات والمستعمر البريطاني من التفاف الجماهير حولها وتلبية نداءاتها سواء للتظاهرات أو الإضرابات.

وحول أهمية دور الهيئة وما تركته من آثار في البحرين ومحيطها، ولما امتلكته من أدوات يقول القائد الوطني الراحل عبدالرحمن الباكر في كتابه (من البحرين إلى المنفى "سانت هيلانه") ص 11: (إنني لا أريد أن أشيد بما أفادت به الحركة الإصلاحية في البحرين لا في منطقة الخليج العربي فحسب بل حتى في السعودية، ولا أريد أن أنوِّهَ بالمفعول الجبار الذي أحدثته صحافة البحرين الحرة في ذلك الوقت، ولا ريب أن الحقائق تتكلم عن نفسها في كل زمان ومكان، وهناك الكثير من المنصفين في منطقة الخليج العربي والشرق العربي كله الذين يعترفون بأن الفضل الأكبر لدفع عجلة الإصلاح في تلك المنطقة يعود أولاً وأخيراً للحركة الإصلاحية التي قامت في البحرين، ويعود كذلك للصحافة العربية الحرة التي كانت تصدر في البحرين كمجلة صوت البحرين وجريدتي القافلة والوطن).

استمرت حركة الهيئة أكثر من عامين بقليل: (أكتوبر 1954 – نوفمبر 1956)، وتأثر بعض من قادتها وشبابها بأفكار ثورة يوليو عام 1952 في مصر بزعامة جمال عبدالناصر، الزعيم العربي الذي وقف ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية، ودعم قوى وحركات التحرر الوطني في البلدان العربية والإفريقية وغيرها، وعندما شنّت القوى الإمبريالية الصهيونية عدوانها الثلاثي (البريطاني / الفرنسي / الصهيوني) في نوفمبر 1956 على مصر الثورة، خرجت الجماهير البحرينية في تظاهرات حاشدة تجوب شوارع قرى ومدن البحرين ضد ذلك العدوان الغاشم.

لقد قُمع المتظاهرون بالقوة من قبل قوات المستعمر البريطاني وعلى أثر ذلك اعتقل المئات من قادة وكوادر وأنصار هيئة الاتحاد الوطني، وبعد محاكمات صورية سريعة صدرت أحكام قاسية ضد خمسة من قادة الهيئة، حيث حكم على كل من عبدالرحمن الباكر، عبدالعزيز الشملان، عبدعلي العليوات بالسجن أربعة عشرَة عاماً والنفي خارج البلاد، إلى جزيرة سانت هيلانه في المحيط الهادي، فيما حكم على إبراهيم فخرو وإبراهيم موسى بالسجن عشر سنوات قضياها في سجن جزيرة جدا، وتشرّد آخرون في المنافي القريبة والبعيدة، لتنتهي صفحة من صفحات النضال الوطني المشرفة، ما أحوج شعبنا اليوم العودة إليها واستلهام العبر والدروس القيمة في الوحدة الوطنية التي جسدها قادة الهيئة قولاً وفعلاً.

د.عيسى أمين: نؤكد بأن المواطنة لا تعني الإنتماء إلى عشيرة أو فئة أو طائفة أو مذهب

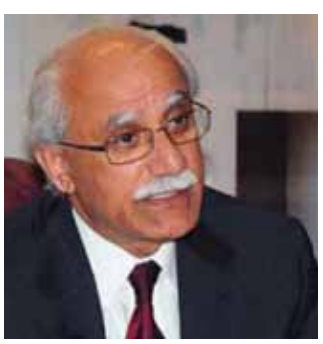

«علينا أن نتذكر بأن المطالب الإصلاحية قد مضى عليها ثلاثة أرباع القرن، وإننا اليوم في حاجة لأن نتعلم شيئاً واحداً من سجل هيئة الاتحاد الوطني الحافل بالإصرار، هو شمولية المطالب، وأن نؤكد بأن المواطنة لا تعني الإنتماء إلى عشيرة أو فئة أو طائفة أو مذهب، وبأن أولئك الذين بدأوا مسيرة المطالب الإصلاحية قد ذهبوا جميعاً، ولكن بقيت لنا الفكرة والتي نحن مطالبون بتحقيقها»

د.عيسى أمين – من محاضرة له في المنبر التقدمي/ أكتوبر ٢٠٠٤

واقع الشباب بين الطموح والإحباط

يطلق مصطلح الشباب على الفئة العمرية بين ١٥ الى ٢٩ عاماً حسب تعريف الكومنولث للشباب وتطلق على هذه المرحلة العمرية للأفراد حيث تبلغ فيها ذروة القوة والحيوية والنشاط، واستفاض تعريف الأمم المتحدة لهذه المرحلة بـ "تعدّ مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يمر بها الفرد، حيث تبدأ شخصية الإنسان بالتبلور. وتنضج معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف، ومن خلال النضوج الجسماني والعقلي، والعلاقات الاجتماعية التي يستطيع الفرد صياغتها ضمن اختياره الحر". وإذا كان معنى الشباب أول الشيء، فإن مرحلة الشباب تتلخص في أنها مرحلة التطلع إلى المستقبل بطموحات عريضة وكبيرة.

وحيث ان قطاع الشباب هو عصب أي مجتمع او دولة في عملية البناء والتطور لما يمتازون به من الحيوية والنشاط والطموح، فأهمية بناء الأسس الصحيحة تعليمياً وتربوياً وثقافياً على اول سلم الأولويات لأي مجتمع يريد النهوض.

وهذا ما يدعونا الى مناقشة في المحاور التالية أكبر العقبات التي تواجه الشاب البحريني في واقعه وتحدياته التي تعيقه من ان يتبوأ المسؤولية الوطنية ليكن جزء وعصب التغييرات المنشودة التي تساهم في شأنها النهوض بمملكتنا العزيزة أرض دلمون وأوال.

في بادئ الامر نستعرض ارقام مهمة وهي حسب الاحصائيات الرسمية في 2016 فإن التعداد السكاني لشعب البحرين= 664،707 ونسبة الشباب في البحرين 40.7٪ أي ما يعادل 270،535 في الفئتين العمريتين بين 15 الى 40 عاماً. وهي الفئة التي ينتقل فيها الفرد من مرحلة الطفولة الى المراهقة ثم النضج مع الحيوية والنشاط والانتقال من مرحلة الدراسة الى سوق العمل.

وتنقسم مشاكل ومعوقات الشباب في الثلاث محاور التالية على سبيل اهم الأولويات وليس الحصر:

واقع ومخرجات التعليم في البحرين:

على الرغم من احتفاء المملكة بمئوية التعليم وريادة التعليم النظامي في المنطقة إلا ان للأسف اضحى واقع التعليم متراجع بشكل مريب مما نتج عنه مخرجات تعليمية ضعيفة لا تمت لمتطلبات سوق العمل في بعض التخصصات. وعلى الرغم من تطور المناهج والأساليب التعليمية الا ان مناهجنا بقت على حالها مواد نظرية وحشو للمعلومات المرهقة للطالب دون التركيز على بناء الفرد عمليا وصقل مهاراته ومواهبه المؤهلة على اقل تقدير.

علاوة على ذلك وان تغلب الطالب على معوقات التعليم سيصطدم بموضوع البعثات الدراسية، حيث ان الطلبة المتميزون لا يحصلون على رغباتهم والقريبة من امكانياتهم وميولهم. للأسباب التالية:

عدم الشفافية في توزيع البعثات
خطط البعثات وربطها باحتياجات سوق العمل

وعلى الرغم من مصادقة مملكة البحرين على اتفاقية مكافحة التمييز في مجال التعليم الصادرة من المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة بتاريخ 14 ديسمبر 1960م واصبحت جزء من منظومتها القانونية الوطنية وتبني مبدئ الشفافية دستورياً الا ان ارتأت وزارة التربية والتعليم في البحرين الى عدم نشر نتائج البعثات والحاصلين عليها من بعد عقود من نشر أسماء الحاصلين عليها في الجرائد والصحف اليومية مع النسبة المئوية للنجاح واستحداث نظام تقييم جائر معتمد على المقابلة الشخصية للطالب بالإضافة لمعدل النجاح والامتحان الكتابي دون معايير محددة، مما تزيد فرص التلاعب وظلم المستحقين من الطلبة المتفوقين للبعثات.

مجيد هاشم

الشاب البحريني
واصطدامه بواقع سوق العمل:

اختصر الشاعر البحريني الراحل عبد الرحمن المعاودة معاناة المواطن البحريني في البيت الشعري التالي: «يشقى بنوها والنعيم لغيرهم.. كأنها والحال عين عذاري»

فبعد الإحباط الأول في النظام التعليمي تبدأ مرحلة تجاربه مع الإحباط في سوق العمل، حيث يصطدم الشاب البحريني بواقع حال سوق العمل وتهميش المواطن البحريني في وطنه والمحسوبية والتمييز، فتمتد فترة البحث عن وظيفة لفترات طويلة ولسنوات تصل بعض الحالات الى ما يقارب العشر السنوات بل أكثر في بعض الحالات والتخصصات. بالإضافة ما بعد الحصول على الوظيفة يصطدم بعقبة المسؤول الأجنبي او المسؤول البحريني الغير كفؤ الذي يضايق المواطن في لقمة عيشه ويقف امام مسيرة تطوره وتدرجه الوظيفي وضعف الراتب.

مما يدعونا الى توجيه أصابع الاتهام الى الجهات المعنية بالدولة وغياب دورها الحقيقي في سياسات التوظيف وتوطين الوظائف بدايةً من وزارات الدولة والهيئات والشركات الحكومية، وتمكين أبناء الوطن الاكفاء من المناصب القيادية بعيداً عن المحسوبية وفساد مافيات التوظيف الأجنبية والتي صرّح بها وكيل وزارة العمل السيد صباح الدوسري في فبراير 2017 مشيراً فيه الى ان هنالك مافيات توظيف أجنبية وتحكمها في عمليات التوظيف في قطاعات شتى على رأسها القطاع الخاص مما يدعونا للتساؤل عن الإجراءات التي اتبعت لمحاربة مثل هذه الأمور. خصوصا تبعها بعد فترة من الزمن معرضين توظيف علانية لجاليتين آسيويتين غير ما يساق في الخفاء في هذه الجاليات. علاوة على ارقام التوظيف السنوية حسب التقارير الرسمية الصادرة من الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي في الربع الثاني من سنة 2019. توظيف عدد 31293 أجنبي مقابل عدد 2965 بحريني حديثي التوظيف في سوق العمل في القطاعين العام والخاص، ومقارنة بالربع الأول من نفس العام بلغ عدد توظيف الأجانب 14800 مقابل توظيف 1386، اذاً نشهد تزايد في عمليات توظيف الأجانب في البحرين مقابل عمليات توظيف البحرينيين وفروق الرواتب والمكافآت. علاوة على ان هذه الاحصائيات لا تبين عدد المواطنين المستجدين في سوق العمل من المعاد تأمينهم مرة أخرى.

وتتطلب هذه المشكلة من المسؤولين معالجة عاجلة وجدية تشريعياً وقانونياً واجرائياً، لما يشكله هذا الامر من قنبلة موقوتة في فئة الشباب التي لا تنبئ بخير، حيث تزايد اعداد العاطلين والأجواء الوظيفية غير الصحية التي لا تلبي احتياجات أي شاب حياتياً واقتصاديا، خصوصا في الظروف الاقتصادية الراهنة وازدياد متطلبات الحياة والغلاء المعيشي الى انفجار هذه القنبلة

وانسياق فئة الشباب الى طرق غير محمودة. هذا وان كان للتاريخ في الحسبان حيث لو رجعنا الى ثورات الربيع العربي وغيرها من حياة الشعوب وبداية أي ثورة، هي لقمة العيش للإفراد او ربما الاتجاه الى مصادر الكسب غير المشروع قانونياً واخلاقياً مما يتسبب في تردي الوضع المجتمعي بشكل أكبر.

وعليه يجب على الدولة ضرورة تبني الدولة الى مشاريع توظيف حقيقية حيث ان الأمان الوظيفي للشاب هو أولوية سلم الامن بشكل عام كأساس من أسس الامن المجتمعي، كذلك المشاريع التدريبية التي من شأنها اعداد البحرينيين بما يتناسب مع متطلبات سوق العمل كذلك ما يؤهلهم الى احلالهم في المناصب التي يحتكرها الأجانب خصوصا في الوزارات والهيئات والشركات التابعة للدولة.

غياب الشاب البحريني والعمل التطوعي والمسؤولية المجتمعية:

نشهد في العقد الأخير عن عزوف الشباب عن العمل التطوعي والمجتمعية لغياب الوعي التام ووجود المؤسسات المجتمعية الحقيقية التي تمتلك برامج واضحة ومشجعة في رفع الوعي الشبابي لخدمة وطنه والتي تعتبر هي المحطة الأولى في صقل واكتشاف مواهب وامكانيات الشباب المتعددة وهي نتاج غياب المواد الدراسية والتوعوية بأهمية العمل التطوعي في المجتمع كما هو موجود في الدول المتقدمة، مثال على ذلك ما حدث مؤخراً في فرنسا وعدة دول غربية بتحرك شبابي واعي لمشكلة التغير المناخي والذي نتج وينتج عنه دمار حقيقي لهذا الكوكب، وهذا ان دل دل على الأسس التعليمية والعمل المجتمعي الحقيقي الموجود في هذه الدول والتي تغرس هذه القيم منذ الطفولة في الأجيال المتعاقبة.

وفي الأخير، نشدد على ضرورة وضع الشأن الشبابي في مملكة البحرين في صدارة أولويات الدولة وكل قوى المجتمع البحريني، والتعامل مع هذا الشأن بمنتهى الوعي والمسؤولية بعيداً عن الشكليات والمظاهر التي لا تدخل في عمق قضايا واهتمامات الشباب، والنظر الى الشباب كونهم شركاء حقيقيون وأساسيون في القرار والمسؤولية وصناعة المستقبل. حيث أن شباب البحرين هم رهان التغيير في كل شأن وطني وهم الذين يفتحون الأفاق الإيجابية التي ننشدها جميعاً.

و ننظر ببالغ الأسف لواقع حال الكثير من شباب البحرين الذين لا يجدون فرص العمل المناسبة، اضافة الى معاناتهم من مشاكل وقضايا في حياتهم العلمية والعملية والاجتماعية علاوة على تحديات كثيرة باتت تفرض نفسها حالياً أكثر من اي وقت مضى والتي لم تعد خافية على أحد والتي لم تقابل بمعالجات حصيفة تغوص في عمق هذه المشاكل والقضايا ، و الوقوف الى جانب الشباب والاهتمام بواقعهم من خلال اعطاء الاولوية لقضاياهم ووضعها على طاولة النقاش للخروج بخطة وطنية شاملة تعالج الكثير من المشاكل التي تقف عائقا أمام مستقبلهم وأهمها القضاء على البطالة من خلال توفير فرص العمل المناسبة للخريجين وخلق فرص عمل مناسبة لتخصصاتهم من خلال بحرنة الوظائف.

كما لن يكون بالإمكان التغلب على المشاكل التي تحدق بواقعنا الراهن الا عن طريق وضع الشأن الشبابي في صدارة الأولويات والاهتمامات خاصة عبر إيجاد نوع من التنسيق والتكامل بين الدولة والمجتمع ، بما في ذلك الجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني لرعاية الشباب ومساعدتهم في تجاوز مشكلاتهم أياً كانت ، من خلال أنشطة وبرامج نوعية متنوعة تولى الاهتمام والرعاية وتفسح المجال للشباب بأن يكون لهم دور في صنع القرار والتخطيط، والتحصن ضد التطرف، ولا بد ان يقترن ذلك بالإيمان بان قدرات الشباب البحريني وتوجيهها في البناء والتنمية وتعميق مفاهيم الوحدة الوطنية ونبذ التعصب بكل اشكاله وانواعه ، يمكن ان تنمو بشكل كبير وتعطي أملاً في المستقبل ومواجهة ما فيه من تحديات ، وان كل ما هو مطلوب الوثوق بالشباب وإفساح المجال لهم والتعامل معهم بمنتهى الوعي والمسؤولية .

تعايش المكونات المجتمعية لا تناحرها

جواد المرخي

كان للقوى اليسارية والوطنية على مستوى العالم بما فيه الوطن العربي حضور قوي جداً وفعال وله الأثر في إشاعة ثقافة التعايش بين مختلف القوميات والديانات والاعراق والألوان، حيث ساهم اليسار، أحزاباً وحركات وطنية، في نشر التقارب والتآخي من خلال نشر الروح الأخوية بين الأفراد والأسر والمجتمعات، وقد أعطت هذه الثقافة زخماً ثورياً ساهم في نشوء حركات وهيئات جامعة لمكونات الشعوب كانت لها أدوار وطنية بطولية إبان النضال الوطني التحرري ضد الإستعمار والأنظمة الرجعية.

كما ساهمت ثقافة التقارب على أسس أممية في رصّ صفوف حركة الطبقة العاملة والنقابات في العالم، وأيضاً كان لها الأثر الكبير في صفوف الحركات الطلابية والشبابية والنسائية، وكانت هذه الثقافة مصداً بوجه مفاهيم الاستعمار ودعواته ل «فرّق تسد» بين الشعوب، وساهمت في رص صفوف الجماهير والوقوف ضد المخططات الإمبريالية والصهيونية في الوطن العربي.

إلا إننا في الوقت الراهن نفتقد في الوطن العربي ثقافة التعايش هذه بعد أن ابتلينا بثقافات عدائية لمكونات طائفية وشوفينية لا تعترف بالآخر، حيث أن هذه الثقافات مبنية على أسس من المحاصصات الطائفية لقوى متشددة متعصبة ومتناحرة لا تساهم في رص صفوف الجماهير التي تناضل من أجل التغيير الديمقراطي والوطني.

ساهمت القوى الشعبوية في نشر التعصب القومي والطائفي على حساب المصالح العليا للأوطان والشعوب العربية، وأدت المحاصصات السياسية بأنواعها في تدني شعار المواطنة والنضال من أجل الحقوق والحريات والتعددية الفكرية.

أفادت هذه الأوضاع الأنظمة الشمولية، كما أن هيمنة القوى الطائفية بشعاراتها مزقت وحدة الشعوب العربية خصوصاً مع نشر ثقافة الكراهية والأحقاد، ولم ينجُ من هذه الثقافات الشعبوية حتى بعض المثقفين الذين ساهموا في تشطير المجتمعات العربية، وفي إخفاق القوى الوطنية واليسارية وحركة الطبقة العاملة والنقابات وأيضاً القوى الشبابية والطلابية والنسائية.

أدى كل ذلك إلى نشر ثقافة الخلافات والصراعات الفكرية في صفوف القوى السياسية خصوصاً التي اخترقت من قبل الرجعية والانتهازية بمختلف ألوانها، والتي عمقت الشللية من خلال عدم قبول الآخر. والمستفيد من مثل هذه الظواهر هم أعداء الشعوب والمتصيدون في الماء العكر أصحاب المصالح الضيقة الشخصية على حساب تدني العمل الوطني المشترك.

يتعين على القوى الوطنية في كل الأقطار العربية في إعادة الاعتبار لثقافة الاعتراف بالآخر واحترام المواقف والأهداف والأفكار التي تصب لصالح حركة الجماهير من أجل التغيير الشامل لصالح الانسان والأوطان العربية التي تعيش في حالة من التذمر مع انتشار البطالة والتهميش والاستغلال البشع في كل جوانب الحياة.

التحديات التي تواجه الشباب

يواجه الشباب

تحديات عديدة، بينها وربما أهمّها:

* القلق من المستقبل – الخوف من عدم تحقيق الذات: هل سوف أكمل الدراسة وأتخرج من الجامعة، هل سأحصل على وظيفة خاصة مع وجود تخصصات جامعية لا وظائف لها، هل سأكوّن لي أسرة هل سيكون لي شأن في المجتمع، وتتوالى الأسئلة التي تبدأ ب: هل؟

* الوظيفة والحصول عليها من أكثر المواضيع التي تؤرق الشباب والشابات على حد سواء، وخصوصا من يدرس من اجل الحصول على الوظيفة الحكومية أو في القطاع الخاص ليبني به مستقبله.

* التطور التكنولوجي وتأثيراته وكيفية الإستفادة منه، فالتكنولوجيا تهدد المئات من الوظائف التي كانت متوفرة، حيث بات بإمكان برنامج في المحاسبة مثلا أو غيره من التخصصات أن يقوم بمهام 10 موظفين ونسبة الخطأ في إنجازه للمهمة تكاد تكون معدومة.

* أزمة الخطاب الديني والفكري، وهي أيضاً من المواضيع التي قد يمرّ بها الشباب في مرحلة من مراحل حياتهم، الوضع الطبيعي حينما يستقي الشاب والشابة المعلومة في المنابع الوسطية سواء في الأسرة أو المجتمع، ولكن الخوف من تأثير التيارات الدينية والفكرية التي لديها تطرف في وجهات النظر التي تحملها.

*الواسطة في التوظيف، حيث ما زالت عقلية هذا من جماعتنا الدينية، وذاك من فريقنا السياسي وهذا من عائلتنا وذاك من منطقتنا طاغية، ما يقصي فعلياً مبدأ تكافؤ الفرص.

* هناك تحديات أخرى في مجال العمل والتوظيف، بينها المنافسة القوية للأجنبي في الوظائف، وعدم ديمومة المشاريع المتوسطة والصغيرة بسبب التنافس الشديد، وعدم التمكن من دخول الجامعة عند بعض الشباب والشابات بسبب الرسوم الجامعية، عدم الحصول على وظيفة في نفس التخصص.

*من التحديات أيضاً صعوبات تأسيس عائلة، حيث نلاحظ تأخر سن الزواج من جهة، وازدياد حالات الطلاق المبكر، وهناك المبالغة في المهور ، والاهتمام بالشكليات والمظاهر والحسب والنسب وما إلى ذلك من عاهات مجتمعية تزداد تفشياً.

حسين الإسكافي

نحتاج إلى قوانين تصب في صالح الشباب باعتبارهم العصب الأساسي للمستقبل

* عدم تكافؤ المزايا الوظيفية بين الإناث والذكور في فرص التوظيف والترقيات والمرتبات والمزايا، واستمرار أشكال التمييز الجندري في مجالات الحياة المختلفة.

* إنحسار دور الجمعيات الشبابية والتي كانت تحتضن قطاعات كبيرة من الشباب، وتراجع الإيمان بالعمل المؤسسي فهناك اندفاع للتطوع وليس العمل المؤسسي ولكن العمل التطوعي يشهد صعوداً وهبوطاً حسب المناخ السياسي، ففي الوقت الحالي نعاني من انحسار هذا العمل، إضافة إلى نقص وضعف الحوار بين الشباب وعدم تفهم وجهات النظر الأخرى، لغياب ثقافة تقبل الآخر بسبب اختلافه الديني والمذهبي والفكري.

المعوقات التي تواجه الشباب:

*عدم وجود قانون واضح وصريح ينص على أن هناك وظائف محددة تكون للمواطنين فقط سواء في القطاع العام او الخاص – أسوة ببعض دول الخليج العربي و معظم دول العالم.

*عدم توافق مخرجات التعليم مع متطلبات سوق العمل.

*التسهيلات الكبيرة الذي يحظى به الأجنبي سواء في التوظيف أو تأسيس الشركات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة والتي ألقت بظلالها على تراجع الكثير من المشاريع الصغيرة والمتوسطة والتي يمتلكها الشباب.

استشراف المستقبل:

*الحاجة للتخطيط الإستراتيجي في الجهات الحكومية وإطلاق دراسات وسيناريوهات لاستشراف مستقبل كافة القطاعات الحيوية ووضع الخطط والسياسات بناء على ذلك.

*الحاجة إلى إستراتيجية تركز على المواضيع التالية: مستقبل رأس المال البشري والشباب ومستقبل التكنولوجيا والأنظمة الذكية ومستقبل الاستدامة والبيئة وتغير المناخ ومستقبل البنية التحتية والمواصلات ومستقبل الصحة ومستقبل التعليم ومستقبل التنمية المستدامة ومستقبل بيئة الحياة الإيجابية والسعيدة ومستقبل الطاقة ومستقبل الاقتصاد والامن الاقتصادي والتجاري ومستقبل الموارد المالية ومستقبل الحكومة والخدمات الحكومية ومستقبل العلاقات الدولية والسياسية ومستقبل الأمن المائي والغذائي ومستقبل الأمن الالكتروني .ومن الجيد أن ثلثي أعضاء مجلس النواب من الشباب، بالإضافة إلى وجود ودور كتلة "تقدّم".

مما سبق أعلاه من تحديات ومعوقات نجد أنفسنا بحاجة إلى صياغة قوانين تصب في صالح الشباب باعتبارهم العصب الأساسي لمستقبل أي نهضة، فالقوانين بحاجة إلى أن تأخذ صفة الإلزام وخصوصا في الجوانب التي تتعلق بالأمور المعيشية، بالإضافة إلى موضوع سيطرة الأجانب على بعض القطاعات التجارية والوظائف والخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين والتي يتشاركون معنا فيها.

نحن بحاجة إلى مراجعة التخصصات الجامعية والتي ما زالت تدرس في جامعة البحرين والجامعات الخاصة، ففي عام 2017 صرحت وزارة العمل أن هناك 12 تخصصاً جامعياً بلا فرص توظيف – بمعنى أنه تضيع على الطالب والطالبة فترة دراسية لمدة 4 أو 5 سنوات وفي المحصلة لا توجد وظيفة! بمعنى أننا بحاجة إلى أن يكون هناك في وزارة العمل قسم خاص بالتخطيط الوظيفي يضع خططاً بعيدة المدى في موضوع توافر الشواغر بحيث تواءم الجامعات برامجها ومخرجاتها مع احتياجات سوق العمل.

الإعلام الرقمي ينتصر لإسراء غريب

عصمت الموسوي

كان يمكن لقضية إسراء غريَب ان تطوى كما طويت مئات من الجرائم المرتكبة بحق النساء في العالم العربي وتحت مزاعم وأسباب شتى، لولا أن عنصراً جديدًا دخل على الخط هذه المرة فقلب المعادلة وأحدث خللاً وتصدعاً في الرواية الرسمية المتداولة ونسف سردية الأهل الواهية والمتناقضة عن أسباب موتها، فعادت حكاية إسراء إلى الواجهة بعد شهر من دفنها، فبعد أن تصدّر اسمها مواقع التواصل الاجتماعي وحظي وسم هاشتاج "كلنا اسراء غريب" بالمتفاعلين من كافة الشرائح المجتمعية، الذين أمطروا الفضاء الالكتروني بمشاركاتهم وتعليقاتهم على مدى شهر، أجبرت النيابة العامة الفلسطينية على إعادة فتح التحقيق ومكاشفة الجمهور بالحقيقة.

وإسراء هي شابة فلسطينية جامعية من بيت ساحور تعمل اختصاصية تجميل صالون نسائي، تعرّفت على شاب تقدّم لخطبتها فخرجت معه في مكان عام بمعية شقيقته ونشرت مقطع فيديو على الإنستغرام أو على السناب شات يُوثق الحدث، إلا أن ابنة عمها وشت عليها لدى أهلها واخوانها متهمة إياها بالتهور الأخلاقي وتشويه اسم العائلة فتطورت القصة لاحقاً، وتعرضت المغدورة إلى عنف جسدي ونفسي تسبب في وفاتها.

كان الاعلام البديل الأسرع انتشارا وسرعة وتوثيقا هو العين الراصدة للحدث منذ بداياته، إذ تبادل المغردون على وسائل التواصل الاجتماعي بعد دفنها مباشرة أفلام فيديو تتضمن صراخ إسراء واستغاثاتها فأثاروا المجتمع الفلسطيني والعربي والعالمي، فخرجت عدة تظاهرات نسائية للتنديد بالواقعة وانبرت الأقلام والصحافة الالكترونية ونشطاء المجتمع المدني التقدمي للدفاع عن إسراء وعن كل النساء المتضررات من العنف الأسري وما يسمى بجرائم الشرف.

صحافة الفيديو قامت بدور جبار ومؤثر، إذ مارس المغردون وأصحاب اليوتيوب بشكل سافر حيثيات القضية وتبنوها وانحازوا إلى إسراء بشكل مطلق معتبرين أنها وقعت ضحية كذب وتدليس وخداع للرأي العام، ونتيجة اهمال ونقص تحرٍ من قبل جهات عديدة رسمية وعائلية، فكيف لفتاة تدخلُ المستشفى بإصابات متفرقة في وجهها وجسدها وكسر في عمودها الفقري وتخرج منه، ثم تعود إليه بعد أيام وهي جثة هامدة وتدفن بهدوء وصمت دون تحقيق طبي وأمني؟

قام عشرات من أصحاب الحسابات الالكترونية على اختلافها بنشر وبث المقابلات التي أجريت مع الاهل وأعملوا فيها تشريحاً ونقداً وتحليلا فتبين منها تهافت الرواية المتداولة، وتناقض الأقوال وتداعي الأدلة، حيث وضع الاعلام الرقمي عائلة غريب في مأزق حقيقي فأقاموا المحاكمات ضدهم واستدعوا الشهود مستعينين بالأدوات والتقنيات الالكترونية، وكشفوا التضليل وانعدام المسؤولية المهنية والأخلاقية في جوانب عديدة، خرجت قضية اسراء من فضاء البيت الأسري الضيق الذي حاول التكتم عليها واسدال الستار على قتلها المتعمد – كما جاء في تقرير النيابة العامة – لتنتشر الحكاية عبر العالم وتصبح قضية رأي عام؛ وينجلي ما سمي بلغز الوفاة الغامضة للمغدورة ، عن قتل متعمد ووحشي وواضح وضوح الشمس وتكتنفه التفاصيل المضللة، إذ كان بالإمكان إنقاذ إسراء من كل هذا البطش لو أن أحداً استجاب سريعا لفيديو صراخها قبل لا بعد مقتلها.

من أرض فلسطين المحتلة تأتي حكاية ظلم أهلها لأنفسهم ،هذه المرة «بيدي لا بيد الاحتلال» مذكرة بقول الشاعر العربي طرفة بن العبد: «وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند، ولتطرح على بساط البحث والمناقشة مجددا قضية المرأة في العالم العربي وموقعها على خارطة الحقوق والحريات والتمكين ومدى جدية السلطات الرسمية والأهلية في مكافحة كل اشكال التمييز والعنف ضدها.

وتأتي فلسطين في المرتبة الثانية بعد الأردن في حصد أرواح النساء على خلفية العنف الأسري أوما يسمى بقتل الشرف الذي يحصل بمقتضاه القتلة على أوسمة الشرف المجتمعي وأحكام قضائية مخففة تشجع على تكرار الفعل المرة تلو الأخرى، الأمر الذي يستدعي مساءلة المنظومة المجتمعية والقضائية والأمنية والتعليمية والقانونية برمتها.

لقد أثبتت قضية إسراء أن الفكر المتخلف لايزال سائداً ومسيطراً ومتحكماً وله القول الفصل في تحديد مصائر النساء، وليس التحضر إلا قشرة خارجية واهية تتداعى عند أول اختبار حقيقي، ويتطلب تغيير هذه الصورة المأساوية لواقع المرأة البدء بتغليظ العقوبات الرادعة وتسمية القتل قتلا أيا تكن أسبابه وتفعيل القوانين غير المفعلة وكشف كل ملفات جرائم ما يسمى بقتل الشرف سابقاً ولاحقاً، ومعاقبة القتلة في محاكمات علنية أمام مرأى ومسمع الناس كي يكونوا عبرة لغيرهم.

إن عائلة غريب نفسها ضحية لهذا الواقع التراجيدي المؤلم، اذ تخسر العائلة في غمضة عين شابة صغيرة ومحبوبة من أهلها ومساهمة في دخل عائلتها البسيطة، تقتل وتعذب وتعالج بالشعوذة، وأين؟ في قلب المستشفى الحكومي الذي يفترض أن تنال العلاج فيه، والمؤمل أن تنال القضية التي هي بيد سلطات الأمن والعدالة كل الاهتمام، وأن تتسم بالشفافية والنزاهة كي لا تكون إسراء مجرد رقم جديد على قوائم ما يسمى بجرائم الشرف والعنف الأسري.

المجتمع المدني بين «التقديس» و«الشيطنة»

من الآفات العربية؛ الولع بالموضات والتقليعات السياسية والفكرية التي تردنا متأخرة، في الأغلب الأعم، من سياقات سياسية وثقافية أخرى، غربية في الأغلب، فنأخذ بها، ونكررها من دون تمعن في محتواها، والتفكر في التطبيق الخلاق لها على ظروفنا الخاصة. من صور ولعنا بالمفاهيم من دون أن نسعى لتجليسها في بيئتنا؛ لأن أشكال تجليها عندنا لا يمكن أن تكون صورة طبق الأصل، أو بالحذافير، لصور تجليها في مجتمعات أخرى تختلف عنا، في ملابسات تطورها السياسي والثقافي والاجتماعي– طريقة تعاطينا مع مفهوم المجتمع المدني الذي يجري اجتراره بالكثير من السطحية، وعدم التمعن.

د. حسن مدن

غدا هذا المفهوم اليوم من أكثر المفاهيم تداولًا في الحياة السياسية والثقافية العربية، ولو قارنا ذلك بما كان عليه الأمر قبل عقدين، أو ثلاثة، لكدنا نقول: إن مفهوم المجتمع المدني مفهوم جديد على الثقافة السياسية العربية، فالنظرة إلى هذا المفهوم، قبل ذاك، كانت هامشية، وربما انطوت على شيء من الازدراء، لكن انقلبت الحال الآن، وأصبح المفهوم من الموضوعات الأثيرة لدى نخبنا السياسية والفكرية. غير أن هذا التداول الواسع للمصطلح لا يعني أنه يُستخدم في حالات كثيرة في مكانه الصحيح، فما أكثر ما يطلق على مظاهر من النشاط، أو على تجمعات أو جماعات، يصعب إدراجها في إطار مفهوم المجتمع المدني، فبات، لدى الكثيرين، كل ما هو غير الدولة، أو خلاف المؤسسات الحكومية، يصنف على أنه مجتمع مدني من دون النظر في طبيعة الوظائف التي تؤديها تلك التجمعات والجماعات، أو الرسالة التي تنطوي عليها بعض الأنشطة التي تدرج، خطأً، في سياق المجتمع المدني.

لا يجري، كما يجب، التفريق بين مفهومين مختلفين، حتى لو انطويا على درجة من التقاطع أو الالتقاء في ظرف من الظروف أو في مرحلة من المراحل، وهما مفهوما المجتمع الأهلي والمجتمع المدني، فبينما يمكن للمجتمع الأهلي أن يستوعب في ثناياه كل ما هو «لا دولة»، نعني كل ما هو خارجها، بصرف النظر عن الحمولة الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية التي ينطوي عليها، حتى لو كانت تقليدية وأشدَّ محافظة من الدولة ذاتها؛ يعكس المجتمع المدني رؤية ومصالح الشرائح الحديثة من المجتمع، وهو إذ يتخذ لنفسه موقعًا مقابلًا أو معارضًا للدولة، فإنما بهدف حملها على المزيد من تدابير وإجراءات تجذير الممارسة الديمقراطية والشراكة مع المجتمع، وفي اتجاه تطوير بنى المجتمع هيكليًّا، نحو الحداثة وإقامة دولة القانون والمؤسسات، التي يفترض فيها أن تكون نافية للولاءات السابقة لبنية الدولة، والتي تعمل على النقيض من آلياتها. فلا يصح أن ندرج الحركات الاجتماعية، التي تبرز على شكل تيارات دينية أو مذهبية، في خانة المجتمع المدني، وهي التي تتحرك بإرادة مرشد روحي أو زعيم قبيلة، ولا صلة لها، من قريب أو بعيد، بالمجتمع المدني الذي هو، في المقام الأول، مؤسسات ومنظمات وجمعيات وهيئات مستقلة ليس عن الدولة وحدها، إنما أيضًا عن الأطر التقليدية القائمة في المجتمع، أو هكذا يجب أن تكون. ولأنها كذلك، فعلينا اشتراط صفة الحداثة فيها، لا أن تكون خاضعة للكوابح الاجتماعية والسياسية القائمة في مجتمعاتنا، التي

هناك تأكيد دولي على دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق التنمية المستدامة وتوكيد قيم الشفافية السياسية والإعلامية واحترام حقوق الإنسان

تعوق فكرة الحداثة أو ترفضها جملة وتفصيلًا.

التقليدية الجديدة

ويفاقم من خطورة هذا طبيعة الحراك السياسي الاجتماعي في البلدان العربية الذي لم تعد القوى التي بشَّرت بفكرة الحداثة، أو رفعت رايتها هي المؤثرة والفاعلة فيه، حيث تراجع دورها كثيرًا لمصلحة قوى أخرى لا يمكن أن نصفها بأنها جديدة، رغم حداثة انخراطها في مثل هذا النوع من النشاط السياسي، وهي تمثل، برأينا، نوعًا من التقليدية الجديدة، أو أنها التقليدية ذاتها، منبعثة في ظروف اليوم، حاملة معها خصائص هذه الظروف، وهي تنخرط في النشاط السياسي والمجتمعي تحت تأثير ما يمكن اعتباره ردة الفعل القوية على ما أتى به التحديث المجتمعي، حتى لو اتفقنا على عشوائيته، الذي زعزع البنى التقليدية وأفقد رموز هذه البنى الكثير من مكانتهم ودورهم، حيث يسعون جاهدين لاستعادتهما، متكئين في ذلك على القاعدة الاجتماعية الواسعة التي تلتحق بهم في الظرف الراهن ومستخدمين إياها وقودًا لبلوغ هذا الهدف.

نحن من دعاة أن يكون هناك مجتمع مدني مستقل وفعّال في البلدان العربية، غير تابع للحكومات ولا يأتمر بأوامرها، من دون أن يعني هذا، بصورة آلية، أن يكون على خصومة مع الدولة، إنما يؤدي دوره في الحياة السياسية والاجتماعية للبلد المعني، موجهًا ورقيبًا ومُرشِدًا لأداء السلطة التنفيذية، دون أن يترتب على ذلك «تقديس» كل ما يمت للمجتمع المدني بصلة، إزاء «شيطنة» كل ما يمس للدولة بصلة. المجتمع المدني، من حيث هو مقابل للدولة، يتعين عليه أن يكون أكثر جذرية من الدولة ذاتها في انحيازه لقيم الحداثة والتقدم والحقوق الديمقراطية، حازمًا في نضاله من أجل بناء الدولة الحديثة والعصرية، التي عليها أن تتحرر من ثقل الولاءات والتعاضدات التقليدية السابقة لها، من قبيل القبلية والعشائرية والطائفية والمذهبية والمناطقية وسواها، عبر تكريس مفهوم المواطنة المتساوية للناس جميعًا، وإخضاعهم جميعًا، وعلى قدم المساواة، للقانون بما ينص عليه من حقوق ومن واجبات، ونبذ أشكال التمييز والمحاباة كافة، بناءً على أي من الولاءات والانتماءات الفرعية.

نقول هذا إزاء الكثير من الأطروحات التي يسعى أصحابها لإقامة التضاد بين المجتمع المدني والدولة، فيقدمون هذه الأخيرة، في الأغلب الأعم، بصفتها خصمًا لا شريكًا. هذا الطرح محمل بالخطورة، ليس لأن دولتنا العربية بريئة من حالة الخصومة التي كثيرًا ما تختارها لنفسها في مواجهة المجتمع المدني، ناظرة إليه على الدوام نظرة الريبة والشك، إنما لأن هذه المقابلة بين «ما هو دولة (وبين) ما هو غير دولة»، يمكن أن يقود إلى مزالق في وضعنا اليوم الذي باتت فيه الدولة ككيان حديث مستهدفة من الطوائف والعشائر والقبائل، التي نظرنا إليها دائمًا على أنها سابقة للدولة وعائقة لبنائها.

لوجود مجتمع مدني يلزمنا وجود الدولة الحديثة، وبالتالي فإن أولوية التكوين يجب أن تعود لها، ففي غيابها يصبح الحديث عن المجتمع المدني ضربًا من العبث، فهي المنظم والناظم الضروري لأمن المجتمع واستقراره وتنميته، إذا وفت بشروط العدل والمساواة بين مواطنيها، وحين تضعف الدولة أو تنهار، يضعف المجتمع المدني أو ينهار.

وعلينا أن نتمعن فيما شهده، ويشهده، عدد من بلداننا العربية اليوم: العراق، وسوريا، وليبيا، واليمن وغيرها، فما إن انهارت الدولة المركزية أو ضعفت، حتى استشرى نفوذ الجماعات المتكئة على الإرث السابق لقيام الدولة، من تكوينات قبلية وعشائرية ومذهبية وما إليها، التي أصبح للكثير منها أذرع مسلحة، على شكل ميليشيات، تفرض سلطتها بالقوة على البلاد والعباد، وتحول بعضًا منها إلى أحصنة طروادة لقوى ودول خارجية. لكن قوة الدولة يجب ألا تكون على حساب قوة المجتمع، فلا بد من بلوغ مرحلة من توازن المصالح، بموجبها يحفظ المجتمع مهابة الدولة ويحترمها ويلتزم بالأنظمة والقوانين التي تنظم سبل الحياة في البلد المعني، مقابل أن تحترم الدولة استقلالية المجتمع المدني، وتقرّ بمجاله المستقل عنها الذي لا يجوز احتواؤه.

ثمة نقطة هنا جديرة بالوقوف عندها، حيث بات الكثيرون يماهون بين مفهوم المجتمع المدني وبين منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، مقتصرين المجتمع المدني عليها وحدها، وغافلين عن أنه أوسع بكثير وأرسخ مكانة وتأثيرًا منها، من دون التقليل من شأن مسألة الدفاع عن حقوق الإنسان وحيويتها وراهنيتها أيضًا، ولكن أيضًا من دون تجاهل أن الكثير منها عبارة عن «دكاكين» صغيرة تتلقى الدعم من جهات غربية، حيث يسترزق الكثير من الحزبيين السابقين والفاشلين، أو غيرهم من الباحثين عن أدوار، على هذا الدعم، من دون أن يكون لما يُديرونه من لجان مرتكزات قوية في مجتمعاتهم، وسبق أن كان هذا الأمر موضع جدل كبير في بعض البلدان العربية، ومثال ذلك ما قيل وكتب عن هذا الموضوع في مصر في عهد حسني مبارك.

بلدان الخليج والقضايا المسكوت عنها

في بلدان الخليج العربي، هناك توجه لا يزال بحاجة إلى تعزيز وتوطيد، بأن تخرج مسألة حقوق الإنسان من نطاق القضايا المسكوت عنها، وليندرج في نطاق القضايا المتداولة والمطروحة للنقاش بغية إيجاد الآليات الملائمة للنهوض بها، بما يتسق والمعايير المتبعة والمصالح الوطنية العليا لدول المنطقة، التي لا يمكن أن تكون في حال من الأحوال مناقضة لاحترام حقوق الإنسان، وصونها. وشهدت بعض بلدان المنطقة تأسيس لجان للدفاع عن حقوق الإنسان، كما جرى إلغاء بعض التشريعات والقوانين التي تُشكل عائقًا في هذا المجال، ونُفذت تدابير في السياق نفسه، حظيت بترحيب داخلي ودولي، لكن يظل هناك جملة من المسائل الكبرى ذات الصلة بهذا الموضوع لا تزال محل نقد، بما فيها أوضاع العمالة الأجنبية في هذه الدول.

إن إحدى سمات تطور المجتمع الدولي الراهن، والمجتمعات المختلفة بوصفها وحدات مستقلة، هو التأكيد على دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق التنمية المستدامة، المتوازية والسوية، وتوكيد قيم الشفافية السياسية والإعلامية واحترام حقوق الإنسان، وفي مقدمتها حقوق التعبير الحر عن الآراء المختلفة، وحق هذه الآراء في أن يعبر عنها من قبل أصحابها بوضوح. ومجتمعات الخليج ليست خارج استحقاقات هذا العصر، فهذه المجتمعات هي في قلب التدويل الاقتصادي الذي جعل العالم كله معنيًّا بأمر هذه المنطقة بحكم القيمة الإستراتيجية لسلعة النفط التي تنتجها بلدانها، بل إن هذه المنطقة كانت خلال عقود ثلاثة مسرحًا لحروب اكتسبت اثنتان منها على الأقل أبعادًا دولية، وبعض هذه الحروب اشترك العالم في خوضها إما بشكل مباشر أو غير مباشر، كما أن المنطقة محاطة بتحديات إقليمية كبرى، تُشكل، أو يمكن أن تُشكل، خطرًا على أمن بلدان المنطقة واستقرارها، وتظل هشاشة مؤسسات المجتمع المدني، وضعف دورها، وبالتالي قلة تأثيرها في مجريات الأحداث في بلداننا، إحدى الثغرات التي يجب العمل على تفاديها، لتقوية الجبهات الداخلية لبلداننا إزاء المخاطر المختلفة.

وإذا درسنا ما شهدته بلدان المنطقة من تحولات مهمة في العقود الماضية تحت تأثير التحولات الاقتصادية وتوسع نطاق الخدمات التعليمية والاجتماعية، والانفتاح الثقافي الواسع على العالم الخارجي، وتفاعل المجتمعات المحلية مع تيارات العصر وثقافاته، سنجد أن نواة مجتمع مدني أخذت في التشكل والنمو والتأثير على شكل هيئات مهنية وجمعيات نفع عام واتحادات معنية بشؤون الثقافة وحماية البيئة وحقوق المرأة... إلخ. وبحكم ملابسات التطور الخاصة ببلدان المنطقة، أو بعضها على الأقل، فإن عددًا من هذه الهيئات ظل متكئًا على دعم الدولة، ورغم أن مثل هذا الدعم قد يبدو ضروريًّا، فإن فكرة هيئات المجتمع المدني تتطلب في الأصل استقلالاً في الحركة عن الحكومات؛ لأنها تغطي فضاء آخر مختلفًا، يجب ألا تتدخل الدولة فيه، ويبدو ذلك ضروريًّا للدفع بالمجتمعات نحو النضج السياسي واستكمال مؤسسات الدولة الحديثة.

وإذا كان مبررًا أن الدولة في البداية مطالبة برعاية بعض المؤسسات، وبخاصة ذات الطابع الاجتماعي والخيري، فإن ما نحن بصدده من تحولات يجب أن يدفع بمؤسسات المجتمع المدني لأن تشب عن الطوق وتمتلك آلية مستقلة لنشاطها، وتلك هي المهمة المعقودة على رجال الفكر وقادة الرأي العام في الحقول المختلفة.

الملهمة

حين سألوها كيف تفسر لماذا تكون قضية الدفاع عن البيئة قضية الشباب، كان ردها واضحاً وقاطعاً: «نحن من سيعيش في المستقبل. حين تصبح الحياة على كوكب الأرض مستحيلة، لن يكون الكبار موجودين، نحن من سيواجه الكارثة».

قالت مخاطبة الكبار: «المنزل يحترق، ويقولون ينبغي زرع الأمل في نفوس الشباب، لا نريد منكم الأمل؛ بل نريدكم أن تشعروا بالذعر».

تلكم هي الشابة السويدية جريتا تونبرج البالغة ستة عشر عاماً، والتي أطلقت دعوة للتظاهرات الشبابية التي اجتاحت عواصم العالم قبل أيام قليلة، احتجاجاً على تلكؤ الحكومات في معالجة تغيّر المناخ. وحسب تونبرج، فإن المسيرات الاحتجاجية خرجت في 123 بلداً.

يبحث الشباب في كل البلدان والأزمان عن قدوة أو مثال. غالباً ما يكون هذا المثال من جيل أكبر منهم، يستمدون من عزيمته وما له من كاريزما الإلهام، لكن جريتا تونبرج كسرت هذه القاعدة. هنا تلميذة تصبح هي القدوة والملهم لشباب العالم في قضية مصيرية، تتصل بسلامة البيئة على الأرض لضمان بقائها صالحة للعيش، والتصدي للعمل الجاري على قدم وساق لتدمير الحياة البيئة سواء من خلال الغازات السامة أو الحرائق المتعمدة للغابات، أو تلويث البحار وردمها العشوائي، وتقلص الأراضي الزراعية لتحل محلها مبانٍ وأبراج.

قطعتْ جريتا تونبرج المسافة من مدينة بليموث البريطانية إلى الولايات المتحدة لحضور سلسلة من المؤتمرات والاحتجاجات حول المناخ هناك، رافضة السفر بالطيران بسبب ثاني أكسيد الكربون الذي ينبعث من الطائرات قائلة، إنها تريد «تحويل الأقوال إلى أفعال».

لفتت هذه الفتاة أنظار العالم حين انتظمت كل جمعة، وحيدة، في رفع لافتة عليها عبارة: «إضراب مدرسي من أجل المناخ» أمام برلمان استوكهولم. سرعان ما توسعت هذه المبادرة؛ إذ بات آلاف الشباب ينزلون إلى الشوارع أسبوعياً للقضية عينها في مدن أوروبية مختلفة، قبل أن يتحول الأمر إلى ظاهرة جذبت إلى مغناطيسها شباب العالم في كل مكان، بما فيها بعض البلدان العربية كتونس ولبنان.

ولدت تونبرج في 3 يناير 2003، في عائلة فنية، فوالدتها مغنية أوبرا مشهورة، وكذلك الحال مع والدها فهو ممثل شهير، ولكن الفتاة شقت لنفسها طريقاً آخر، حين تعلقت بفكرة نبيلة هي الدفاع عن البيئة، مقدمة بذلك نموذجاً لما يمكن أن يستأثر بأفئدة وعقول شباب العالم المتحضر اليوم ويُوحِّد صفوفهم، ليس لأن القضايا الاجتماعية والسياسية لم تعد مهمة، وإنما لأنه يجب صون الحياة على الأرض أولاً. والأمران متلازمان، فلكي نصون الحياة علينا أن نسقط السياسات والبرامج التي قد تؤدي إلى زوالها.والأمران متلازمان فلكي نصون الحياة علينا أن نسقط السياسات والبرامج الاقتصادية والسياسية التي قد تؤدي إلى زوالها.والأمران متلازمان فلكي نصون الحياة علينا أن نسقط السياسات والبرامج الاقتصادية والسياسية التي قد تؤدي إلى زوالها.

جيفارا .. الصورة والمثال

مات المناضل المثال
يا ميت خسارة ع الرجال
مات البطل فوق مدفعه جو الغابات
جسّد نضاله بمصرعه ومن سكات
لا طبالين يفرقعوا ولا إعلامات
جيفارا مات .. جيفارا مات

«أحمد فؤاد نجم»

رضي السمّاك

تمرّ في التاسع من تشرين أول / أكتوبر الجاري الذكرى الثانية والخمسون لاستشهاد المناضل الإرجنتيني الأُممي الأشهر في العالم إرنستو تشي جيفارا في إحدى غابات بوليفيا؛ وهو على رأس ميليشيا نضالية مسلحة تكافح جيش النظام الدكتاتوري البوليفي، لكنه وقع في الأسر جريحاً بعدما حوصرت قواته من قِبل فرقة من هذا الجيش بدعم وتخطيط مباشر من المخابرات المركزية الأمريكية إثر معركة استبسل فيها حتى النهاية، ولم يمهله معتقلوه أو يسعفوه أو يقدموه إلى محاكمة عادلة، إذ تمّ إعدامه في اليوم التالي وهو على تلك الحال بعدما تعب مستجوبوه من صموده في الإصرار على عدم التعاون معهم في التحقيق، وهكذا كانت نهايته التراجيديةالبطولية، فاستشهد عن عمر لا يتجاوز التاسعة والثلاثين.

لسنا هنا بالطبع في وارد الخوض عما إذا كان المناضل الكبير ذو الحماسة الثورية المتقدة قد حالفه الصواب في إجتهاده النظري لخوض تلك المعركة غير المتكافئة مع أعداء الثورة البوليفية ودراسة موازين القوى بشكل دقيق مقدماً لتبني هذا الشكل من النضال المسلح المعزول عن بيئة حاضنة، حيث كُتب الكثير حتى عن جهل الفلاحين بما يقوم به من أجلهم وعدم تقبلهم الإنخراط معه في كفاحه المسلح مع رفاقه المعدودين، بل وعدم تواني بعضهم عن المشاركة في الوشاية عنه، ولربما لو أمتدّ به العمر وتمكّن من الفرار من أعدائه لما كانت تنقصه الشجاعة في المراجعة الموضوعية والنقد الذاتي بالإعتراف بعدئذ بخطأ حساباته، لكن المؤكد أن العالم لم يشهد مناضلاً أُممياً خلال القرن العشرين يمثل التجرد والطهارة الثورية ونكران الذات والتضحية في سبيل مبادئه كما جسدها هذا المناضل الكوني في كفاحه الذي لا يلين ضد الشر الرأسمالي الإمبريالي أينما وُجد على وجه البسيطة.

ولم يقترن إسما مناضلين عالميين في ذلك القرن كما اقترن إسمه برفيق دربه النضالي قائد الثورة الكوبية فيديل كاسترو الذي نجح معه في إسقاط نظام باتيستا الدكتاتوري العميل للإمبريالية الأمريكية عام 1959، وكان له دور محوري في إنجاحها. ورغم تقلده بعدئذ عدة مناصب في حكومة الثورة، ومنها مدير البنك الوطني، والرئيس التنفيذي للقوات المسلحة، ووزير للصناعة، إلا أنه اشترط على رفيقه كاسترو توليه هذه المناصب لفترة مؤقتة، فقد كان مهموماً بمتابعة نصرته لنضالات حركات التحررفي القارة وفي العالم أجمع، وكان له ما أراد.

لا عجب والحال كذلك أن تلهم سيرته النضالية التي تتوجت بإستشهاده نضال الشبيبة في شتى أنحاء العالم على اختلاف تياراتها السياسية والفكرية والدينية، وكانت صورته الشهيرة الأكثر انتشاراً في نضالات الحركات الطلابية العالمية عام 1968 والأعوام اللاحقة في فرنسا وفي مصر وأقطار عديدة من العالم حتى لا تكاد يخلو مقر منظمة طلابية أو شبابية من تلك الصورة الأيقونة على جدرانها.

لكن ما هي قصة هذه الصورة الشهيرة التي انتشرت في جميع ارجاء العالم ، بما فيها الدولتين المسؤولتين عن مقتله الفاجع، بوليفيا والولايات المتحدة؟ لعل من المفارقات التاريخية الساخرة أن الرجل الذي أُستشهد من أجل مُثل الإشتراكية العليا تعرضت صورته لأبشع استغلال من قِبل أحد الناشرين الرأسماليين بعد أن تمكن من الحصول عليها بدون مقابل، فقد كان الناشر الإيطالي جيانجيا كومو فيلتر ينيلي الذي أشتهر في أوروبا بتهريبه مخطوطة زيفاجو إلى خارج الاتحاد السوفييتي بعد ما قدِم من بوليفيا إلى كوبا وعلِم من هناك بأن نهاية المناضل الشهير والموجود في ذلك البلد باتت وشيكة،

وأدرك بحسه الفطري التجاري أهمية حصوله على أفضل صورة مناسبة له قبل اختفائه عن الأنظار بعد مغادرته كوبا مباشرةً عندما يظفر به أعداؤه ويجهزون عليه.

حينذاك وفي مارس من عام 1960 أُقيم حفل تأبيني في هافانا على ضحايا السفينة الفرنسية «لا كوبرا» التي كانت تحمل شحنة من الأسلحة البلجيكية وانفجرت عند رسوها في الميناء فجأةً بانفجار غامض أودى بحياة 136 كوبياً، وكان البرتو كوردا مصوّر الجريدة الكوبية «الثورة » حاضراً للحفل، وبعد أن أنتهى كاسترو من خطبته، ظهر جيفارا فجأةً على المنصة وعلى الفور صوّب كوردا عدسة آلة تصويره من ماركة لايكا نحوه لينجح في التقاط صورتين كان من بينهما الصورة الأشهر عالمياً، لكن رئيس التحرير بعد أن عرض عليه كوردا الصور التي التقطها للحفل أكتفى بصورة لكاسترو وأعاد إليه بقية الصور، إلا أن كوردا أختار إحدى الصورتين وعلّقها على حائط الاستوديو المملوك له في هافانا.

وعندما زار الناشر الإيطالي فيلتر ينيلي هذا الاستوديو حاملاً خطاباً رسمياً من جهة حكومية لمساعدته في منحه أفضل صورة يراها مناسبة لجيفارا أشار إليه كوردا إلى الصورة المعلقة على الحائط بأنها أفضل ما لديه، فطلب الضيف الإيطالي نسختين منها وأُتفق على أن يأتي في اليوم التالي لاستلامهما. وجاء بالفعل في اليوم التالي وأراد أن يدفع ثمنهما فردّ عليه كوردا بأن لا حاجة لذلك باعتبارك ضيفاً جئت لتطلب صورة لأحد رموز ثورتنا.

وما أن أُعلن مقتل جيفارا حتى انتشرت في العالم صورته التي أخذها الناشر جيانجيا كومو فيلترينيلي الإيطالي من المصوّر الكوبي كوردا مجاناً ولم ينل عنها

سنتا واحداً، وفي خلال نصف عام بيع منها 2000000 ملصق، فقد انتشرت الصورة انتشار النار في الهشيم أولاً على هيئة ملصق في إيطاليا ومنها إلى أوروبا ثم إلى جميع بلدان العالم ، لتظهر بعدئذ على حيطان المباني والأعلام والأزرارات والميداليات والقمصان القطنية والبوسترات وأغلفة ألبومات الأغاني. وتم اجراء إضافة رتوشات من التعديلات والمونتاج على الصورة، كما استثمر فيها الفنان آندي ورهول حينما طبعها على شاشة حريرية وأخرجها كواحدة من صوره الشعبية. وبطبيعة الحال لم تتمكن كوبا من مقاضاة الناشر الإيطالي، حيث لم تنضم لاتفاقية حماية الملكية الفكرية المرتبطة بحرية التجارة الرأسمالية والتي كان لأمريكا اليد الطولى في صياغتها إلا عام 1977.

ومع ذلك لم يندم كوردا أو يعارض لهذا الإستخدام غير القانوني لإعادة نشر صورة المناضل الذي يجله والتي وهبها للناشر الإيطالي ما دامت الصورة التي تنتشر عالمياً تقدم مثالاً ملهماً لشبيبة العالم لذكرى سيرته النضالية الوضاءة واستشهاده على أيدي أعداء الحرية .. أما وقد بلغ الأمر في عام 2000 بشركة سميرنوف للفودكا وضع صورته على إعلاناتها الترويجية فقد طفح الكيل بالمصور كوردا لرفضه التام الإساءة لسمعة هذا المناضل الأممي في الدعاية لترويج منتجات مثل الكحول؛ فرفع قضية على الشركة وتمت تسوية القضية خارج أروقة المحكمة وكسب كوردا 5000 دولار فقط تبرع بها للمنظومة الطبية الصحية المطبقة في كوبا الإشتراكية للشعب مجاناً .

التفكير خارج الصندوق

العنوان في الاصل لكتاب شهير من تأليف مايك نانس وديان ويكون. والاول ينتمي لجمعية التفكير الايجابيّ وجمعية أنصاف المثقفين.. الخ. أمّا خارج الصندوق فإنّها تعني بكل بساطة امتلاك القدرة على التفكير خارج الاطار التقليدي أي التفكير الابداعيّ. وليس من السهل كما يتصور البعض الخروج من الاطار التقليدي المحدد. إنّه يحتاج الى قدر من التمّرد على الروتين وقدر من الايجابية والرغبة في التميز وتقدير قيمة الافكار الجديدة ومواجهة التحديات.

محمد المحفوظ

الاغلبية يعيشون في أطر ضيقة وقلة هي الاستثناء ممن تمتلك عقلية ابداعية التي من أهم شروطها هو المغامرة .والذي يتبادر للذهن هنا هل أزماتنا السياسية والفكرية والاقتصادية ناشئة من كون الاكثرية من المواطنين العرب(ألِفت) العيش داخل الصندوق وبالتالي فإنّه من الصعب مفارقته ؟ كما قال شاعر العربيّة الكبير المتنبيّ : خُلقتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصبا لفارقته موجع القلب باكياً .

على الصعيد التربوي فانّ المنهج الرتيب والمسيطر على مناهجنا وعقليات المعلمين الى اليوم هو التلقين بكل أحماله السلبية . أي غياب شبه تام للعقل المبتكر والابداعيّ .هذا المنهج الذي لا يتيح للطالب الجرأة بالخروج على النمط التقليدي المكرّس منذ عقود بعيدة .ولو أنّ طالبا تجرأ وخالف النمط السائد لكان عقابه هو التقريع والتوبيخ ولاستحق علامة متدنية لأنه (خرج على الصندوق) .

ليس لدينا على امتداد العالم العربيّ من يشجع التعليم الابداعيّ والتفكير خارج المتبّع لأسباب من أهمّها أنّ القائمين على شؤون التعليم أنفسهم لم يألفوا الخروج من التفكير أو غير مدركين أهمية القفز على النمط السائد. إنني على يقين أنّ أزماتنا الفكرية واخفاقاتنا التربوية وما نتكبده من كوارث وخيبات وانكسارات وتراجع انما هو لهيمنة ثقافة الصندوق العمياء .

من القصص التي قرأتها وذات الدلالات العميقة على أهمية الخروج على هذه الثقافة أنّ شركة صناعة صابون يابانية تلّقت شكوى من عملائها لانّ بعض العبوات خالية .فاقترح مهندسو المصنع تصميم جهاز يعمل بأشعة الليزر لاكتشاف العبوات الخالية اثناء مرورها على سير التعبئة وسحبها آلياً اذا كانت فارغة . وقد كان هذا هو الحل المناسب رغم تكلفته الباهظة .لكنّ احد عمّال التغليف بالمصنع قام بوضع مروحة كبيرة بدلا من جهاز الليزر ووجه هواءها الى السير الذي تمر عليه عبوات الصابون حتى تطير العبوات الفارغة قبل وصولها الى صناديق التعبئة .

إنّ الشباب العربيّ لا يختلفون عن الشباب في كافة انحاء العالم بل أنّ الكثيرين منهم يتمتعون بذكاء غير اعتيادي وامكانات ذهنية جبارة .لكنّ المعضلة كما تبدو لنا تتلخص في اسلوب التعامل وتهيئة الفرص أمامهم للتعبير عن آرائهم وتفجير مواهبهم وطاقاته .

اضافة الى أنّ نظرة الكبار اليهم هي نظرة تحكمها عدم الثقة في قدراتهم والى اسلوب التنشئة (البرمجة) المستخدم تجاههم منذ الصغر .فالسائد لدى كافة الشرائح والطبقات أنّ هؤلاء ضعفاء غير جديرين بتحمّل المسؤولية . أما لو منحناهم الثقة وحرية ابداء الرأي داخل المؤسسات التربوية كالمدارس والجامعات وأيضا في الاسرة فإنّ النتائج ستكون مدهشة ومختلفة تماماً .

إنّ حكاية جحا الشهيرة في التراث العربيّ يمكن الاستشهاد بها كدلالة على تعطيل ملكات التفكير وملخصها أنّ جحا ذات يوم أراد على سبيل الفكاهة أن يختبر مدى ما يتمتع به الناس من قدرة على تشغيل عقولهم فأخبرهم أنّ مأدبة ضخمة أقامها أحدهم وما أن التقطت اسماعهم الخبر حتى هبّوا جماعات وفرادى للموقع. الجموع التي تراكضت للوليمة كان يحركها العقل الجمعيّ بعد أن جمدّوا عقولهم وتلك هي مأساة البعض للأسف الشديد.

أبو الهول العجائبي..أنثى برأس مفكر!

يؤمن المجتمع بكمية مسلَّمات تجعل السائد هو القانون الأقوى، والسؤال الذي يطرح في الأوساط الثقافية عن غياب المرأة المفكرة، يحمل كفتين مهمتين: المرأة والفكر! المرأة تحتاج كامل الطاقة والدعم لتمارس حقوقها الطبيعية في الحياة، بعيداً عن الكلمات التسويقية الرائجة الآن: القوية/ المستقلة/ الحرة، ولكن بمضمونها الذي يهيئ أن تكون هناك أنثى مفكرة، تتحرك داخلها مجموعة شكوك وتساؤلات وعمليات ذهنية معمقة، فتحقق نتائج ملموسة تستحق أن تظهر للعلن مقابل المسلَّمات المعتادة. فأين الأنثى من كل هذا؟ إن تحقيق الشرط الأول في الاكتمال يتطلب منها صعود درجات، والقفز بينها أحياناً، لأن المجتمع الذي لم يستطع أن يبرز إمكانياتها سيكون أول من يدعو لقص جناحيها النابتين بجهدها، والشواهد شرقاً وغرباً؛ من سيمون دو بوفوار، وليس انتهاءً بفاطمة المرنيسي.

زهراء المنصور

لا تتحمل المجتمعات العربية وحسب العبء الأكبر في التفريق بين الجنسين لصالح الذكور. فالمجتمعات الشرقية كلها مدينة للمرأة على الخيبات التي تلحق بها جراء هذا التراكم الممتد منذ زمن غير محدد، ربما كان هذا من وقت الوأد! لا زالت الجاهلية تمارَس بأشكال أخرى تحجب هذا الحضور أو تحجِّمه، ولازالت المرأة لو خرجت عن النسق المجتمعي لتلقفتها الأصابع الدالة على أنها متمردة و»خارجة». أقول هذا، برغم كل الزخم الثقافي الذي أعطى للمرأة أولوية وتفوّق بجهدها، الذي يشترط –بالمقابل– ألا يتعدى المسارات المحددة التي رسمها لها مبكراً. سابقاً كان المجال المفضل للمجتمع بالنسبة للأنثى المتعلمة هو التدريس، لانحصار أدواره في توقيت محدد، وفئة معينة. فلما تقدّم الزمن، وتطور، وأتيح للإناث الحصول على الشهادات العليا من أرقى الجامعات، تحوّل هذا المجال المفضل إلى التدريس في الجامعة، كمخرج بين مواكبة التطور والتشبه بسلوك الناس المتحضرة، وضمن المعايير المطلوبة، بينما الخروج عن هذه الدائرة يتطلب جهداً مضاعفاً من الأنثى نفسها، وبدفع ذاتي، لأن وجودها المتفرد سيضعها في دائرة الضوء التي تخشاها هي نفسها قبل مجتمعها.

كما أن هناك ارتباط حتمي بين غياب الأنثى المفكرة وبين ما يعانيه المجتمع من تمييز جنسي، فكل الإشارات تدل على أن الذكورة مرتبطة بالجوانب العقلية. فالجانب الديني يلمِّح إلى أن الأنثى في توقيت ما تكون "ناقصة عقل ودين"، تؤخذ في المجمل لصالح الذكورة التي ترتبط –حسب هذا الوصف– بالعقل ورسوخه. والجانب المجتمعي يعزز من حضور الذكر منذ الولادة، ويضع قيمة لمجمل أعماله، خاصة المرتبطة بالتميز، بينما تحتاج الأنثى إلى المطالبة بحقها في الاختيار والحياة إن قررت أن تشق طريقاً مغايراً عما جبلت عليه قريناتها في نفس المحيط، والرد على تهمة "الاسترجال" التي ستأتيها تلقائياً إن رغبت في نهل المزيد من العلم! لن نندهش من وجود الذكور الطبيعي، ولن تفوت الإناث الباقيات الدلال والخصوصية التي تتمتع بها في الخيار الأسهل المتاح، والمحصور في رموش طويلة، وأظافر مصقولة، وصورة جميلة.

ولم تنجح الإناث في رسم ملامح المساواة في المشهد الفكري، فلو عدّنا للمربع الأول، سنجد أن قيمة المساواة كانت موجودة في حال الاتفاق على المسئوليات بالتحديد؛ سيكون الرجل مسئولاً عن أعباء البيت المادية في خارجه، والمرأة ستقوم بالمهمة بالكامل في داخله، والشراكة ستكون في تحمل الأعباء التالية بالشراكة المتراضية. لما اختلطت هذه الأدوار، حصل الالتباس، وتخبطت المسائل. هذا على المستوى المادي الملحوظ، أما في المشهد الفكري؛ فالمطالبة بالمساواة ليست مستحيلة، لكنها ممكنة،

لأنها تتجه لفئة معينة من الناس، التي من الممكن أن تؤمن بك من دون معرفة شخصية، وعبر المنجز المادي فقط. عدا ذلك، لم تنجح المرأة –على أصعد كثيرة– في أن تكون على قدم المساواة مع الرجل في كثير من المجالات. لذلك هي تحتاج أن تثبت نفسها عبر منجزها أولاً، ومن ثم ستكون المساواة التي ستأتي، وتكون خطوة لاحقة وتلقائية.

وأي مشروع نقدي هو فتح جبهة مع آخرين؛ طرف معنيّ بالنقد الموجه، وطرف آخر يتابع هذا النقد، ويكون رأياً بناء عليه. وعلى الناقد الوقوف بصلابة لتقييم وحكم نقد أدبي وفني، لأنها عملية كاملة، جمعية، مؤثرة، وموترة، صاحبها وصل إلى مستوى معين من الفكر. من سيود بعد ذلك إثارة الزوابع المقصود منها الإقصاء والتهميش و"الستر" –في مفهومه العجائبي الضيق؟ من سترغب من الإناث أن تنشغل عن إنجازاتها بدخول حلقات صراع من أطراف عدة، هي طرفها الأضعف

والجدلية التي تثيرها السعداوي عبر تخصصها، أو منجزها الإبداعي، لا تبدو على نفس مستوى القبول نقدياً أو شعبياً، وهو التحذير الخفي لكل من تفكر التقدم في دائرة الضوء، لتذكِّر نفسها بالعراقيل التي ستكبر مع بروز اسمها ولمعانه.

وعن حجم مساهمة الأنثى في الجهد الثقافي النقدي يجب الإلتفات أولاً؛ ألا تمييز جندري في التعامل مع المنجز الإبداعي، حتى لا تقوى فكرة العقلية التقليدية المنحازة للذكور، والاحتكام يكون لمعايير الجودة والقوة والرصانة والإبداع. ويمكن أن يكون حجم المساهمة المادية من الإناث قليلاً وخجولاً على مستوى النشر والطباعة والظهور الإعلامي، وربما كان ذلك على المستوى الإبداعي أيضاً. فليس كل منتج أنثوي هو منتجاً بديعاً بالضرورة، لكنه ليس كذلك إن كان على مستوى الدراسات العليا التي ترفد مكتبات الجامعة بعدد غير قليل من «الجهد الثقافي النقدي» إن جاز لنا التعبير. لذلك فإن الظهور في العلن له متطلباته التي لا ترغب أو لا تستطيع الإناث إليها سبيلاً.

كل منجز نقدي وفكري هو ذو قيمة، ومقدر، لكن المنجز المميز المقرون بالأنثى له تقدير وقيمة أعلى. فإن سعى المجتمع إلى تهميش الأنثى بداوعي الدين والعرف والعار والعيب، واستلت هي لنفسها مكانة مميزة ومفيدة تقف عليها، فهذا أمر يدعو للفخر، في القدرة على العطاء والاستمرار. لم يعد يوجد –اليوم– في المجتمعات العربية مجال ثقافي يخلو من وجود الأنثى التي تضيف إليه قيمة مضاعفة، عبر الاحتفاظ بالأدوار التقليدية، والنهوض في أدوار أخرى جديدة تليق بها.

قدمت هذه الورقة إلى ملف «المرأة ناقدة ومفكرة» مغامرة المرأة العربية في حقل التفكير النقدي بمجلة الجديد اللندنية

الدائم؟

وبمعزل عن كم الكتابات الإبداعية –مجازاً– المصنفة تحت بند الروايات والشعر والأشكال الأدبية الأخرى، والتي تزدان بها المكتبات، تقف كتب النقد المهورة بتوقيع إناث على زاوية خجولة من مجمل النتاج الفكري، يأتي بعضها كمشاريع للرسائل الأكاديمية التي تتوقف عندها أسماء كثيرة في الظل، تظل حبيسة المكتبات لدواعي التخرج ونيل الدرجات العلمية والترقي المهني. أما على مستوى الواقع، فمن الصعب حساب هؤلاء الأكاديميات مع الباحثات اللاتي يخضن معركة حقيقية مع الحياة. فإن كان الإنتاج الفكري قليلاً بشكل عام، فكم سيكون نصيب الإناث منه؟

ويعمل النقد الذكوري أيضا على محاولة تفكيك العمل الإبداعي إرجاعاً لجنس كاتبه، وهو عمل لا ضير فيه، بل إنه يشكل إضافة للنقد، في توضيح الأثر، سواء عبر التعبير عن جنس الكاتب/ة أو الجنس الآخر. لكن النقد المبالغ فيه في إظهار أن رواية الأنثى "بؤرة أحاسيس"، بينما يعيد الراوي الذكر "بناء العالم"، كما يذكر الناقد جورج طرابيشي، في إشارة إلى احتكار كل من الجنسين جزءاً محدداً لا يستطيعان المزج بينهما. وبهذه العقلية، تعرَّض لروايتين من أعمال نوال السعداوي، الشخصية الجدلية، والتي خرج فيها بتيقن عن ربط بطلة الرواية بالسعداوي شخصياً، نظراً لما حملته من تمرد جعل هاجسها الكبير التفرد، والذي حوّلها –حسب وجهة نظر طرابيشي– إلى المصابة بـ"العقدة الدونية الأنثوية"، مع الإشارة إلى استخدامه منهج التحليل النفسي لهذه الدراسة. وحتى النقاد الذين تناولوا الأعمال الإبداعية والنقدية للإناث، لم يخرجوا عن تصنيفهم الرئيسي المتكئ على الجندر، دون الفصل التام بين المنجز وصاحبه.

ومن المتوقع أن نخمن استقبال النقاد العرب لنتاج نوال السعداوي أو المرنيسي، فلا يمكن لأنثى تغرد خارج السرب أن تنجو بنفسها في عالم لا ينتظر منها إلا القبول و"الستر". القويات هن القادرات فقط على التعبير عن آرائهن المختلفة التي قد يهاجَمن عليها. ومع العلم المسبق بردة الفعل هذه، إلا أنه يأتي وقت لابد من الظهور بما يعتمل في النفس، وتكون الآراء نابعة من عمل بحثي ودراسة، وليس من منطلق شخصي وهوائي، وهو ما فعلته نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي في دراساتهما وأعمالهما الإبداعية، فهوجمتا من قبل أقرب الناس لهما، قبل المجتمع الذي يمثل النقاد جزءاً منه، غالباً بالهاجس، ودائماً بالرفض. فالمسألة متعلقة بالصحوة والوعي في تقبّل رأي مغاير عن السائد. لذلك أرى أن التسويق للرأي، بدون شعارات مستفزة للإناث قبل الذكور في المجتمع، مهمة جداً، ورئيسية لطرح أي فكر، وقراءة المجتمع بشكل صحيح، حتى لا يصبح هذا الفكر محل نقاش عقيم يوأد قبل أن يخلق، وهذا ما مارسته المرنيسي بذكاء وتأنٍّ، رافضة الاشتغال تحت تصنيفات نسوية أو غيرها، بينما كان كل ما تنجزه لصالح بنات جنسها. وعلى الرغم من الآراء المهمة

لماذا الإشتراكية؟ (٢ - ٢)

بقلم:
Albert Einstein

ترجمة:
غريب عوض

ألبرت أينشتاين Albert Einstein هو عالم الفيزياء العالمي الشهير. تم نشر هذا المقال أساساً في العدد الأول من المجلة اليسارية Monthly Review (مايو ١٩٤٩). وتم نشرهُ بعد ذلك في مايو ١٩٩٨ إحتفاءً بالعدد الأول من لمجلة Monthly Review لمرور خمسين عاماً على إصدار المجلة.

المحرر

يكتسب الإنسان مُنذُ والدته، من خلال الوراثة، قانوناً بيولوجياً الذي يجب أن نعتبره ثابتاً وغير قابل للتغيير، بما في ذلك الحوافز الطبيعية التي هي سِمة للجنس البشري. وعلاوة على ذلك، يكتسب الإنسان خلال حياته قانوناً ثقافياً الذي يتحصل عليه من المجتمع من خلال الاتصال ومن خلال أنواع كثيرة من التأثيرات الأخرى. إنهُ هذا القانون الثقافي الذي مع مرور الزمن، يُصبح عرضة للتغيير والذي يُحدد إلى حدٌ كبير جداً العلاقة بين الفرد والمجتمع. لقد عَلَّمنا علم البشريات الحديث من خلال البحث المُقارن لما يُسمى الثقافات البدائية، بأن السلوك الاجتماعي للكائنات البشرية قد يتفاوت إلى حد كبير جداً، اعتماداً على النماذج الثقافية السائدة وعلى أنواع المُنظمات السائدة في المجتمع. وبُناءً على هذا قد يضع هؤلاء الذي يسعون إلى تحسين حياة الإنسان أمالهم: إن الإنسان ليس مُداناً، بسبب تكوينه البيولوجي، ليُفني بعضهُ الآخر أو يكون تحت رحمة مصير قاسي من صنعه هو.

إذا سألنا أنفُسنا كيف يجب أن تتغيّر بُنية المجتمع والاتجاه الثقافي للإنسان حتى نجعل حياة الإنسان مُرْضية قدر الإمكان، فيجب أن نكون دائماً على وعي بحقيقة أن هناك ظروف مُعيّنة لا نستطيع تغييرها. وكما ذكرنا سابقاً، إن الطبيعة البيولوجية للإنسان، بسبب جميع الأغراض العملية، غير قابلة للتغيير. بالإضافة إلى أن التطورات التكنولوجية والديموغرافية في القرون القليلة الماضية قد أنشأت ظروفاً باقية إلى الأبد. في التجمعات السكانية الكثيفة المُستقرة نسبياً مع وجود السلع التي لا غنى عنها من أجل استمرار بقاؤها، من الضروري للغاية وجود تقسيم شديد للعمل وجهاز إنتاجي شديد المركزية. ذلك الزمن – إذا ما عُدنا قليلاً إلى الوراء، يبدو مثالياً جداً – قد ذهب ولن يعود حينما كان الأفراد أو المجموعات الصغيرة نسبياً كان بإمكانها أن تكون في إكتفاء ذاتي. ونحن لا نُبالغ كثيراً عندما نقول أن البشرية حتى الآن تُشكّل مجتمع أرضي للإنتاج والإستهلاك.

لقد وصلتُ الآن إلى النقطةُ حيثُ ربما أُشير بإختصار إلى ما يُشكلُ بالنسبة لي جوهر أزمة زمننا هذا. إن الأمرُ يتعلق بعلاقة الفرد بالمجتمع. لقد أصبح الفرد أكثر وعياً باعتماده على المجتمع أكثر من أي وقت مضى. ولكنهُ لا يشعر بأن هذا الاعتماد رصيد إيجابي، رباط عضوي، قوة حماية، وإنما يشعر وكأنهُ تهديد لحقوقه الطبيعية، أو حتى لوجوده الاقتصادي. بالإضافة إلى أن موقعه في المجتمع كبير إلى درجة أن مُحركات الأنا لديه تتم تقويتها بشكل مُستمر، بينما مُحركاته الاجتماعية، والتي هي ضعيفة بطبيعتها، تتدهور تدريجياً. إن جميع الكائنات البشرية مهما كان موقعها في المجتمع، تُعاني من عملية التدهور هذه. وهم سُجناء الأنا لديهم دون أن يعلمون، فهم لا يشعرون بالأمان، ويشعرون بالوحدة ومحرومين من التمتع الساذج البسيط بالحياة. لن يستطيع الإنسان أن يجد معنى في الحياة، رغم أنها قصيرة ومحفوفة بالمخاطر، إلا من خلال تفانيه للمجتمع.

إن الفوضى الإقتصادية للمجتمع الرأسمالي كما هو قائمٌ اليوم، هي في رأيي المصدر الحقيقي للشر. نحنُ نرى أمامنا مجموعة ضخمة من المُنتجين التي لا يتوقف مُنتسبيها عن السعي وراء حِرمان بعضهم الآخر من ثمرات كدحهم الجماعي – ليس بالقوة، ولكن بشكل عام بالالتزام المُخلص بقوانين تم سنها بطريقة شرعية. وفي هذا الصَدَد، من المُهم إدراك أن وسائل الإنتاج – بمعنى، أن المقدرة الإنتاجية بكاملها المطلوبة لإنتاج السلع الاستهلاكية بالإضافة إلى سلع رأس المال الإضافية – ربما تكون قانونياً، وهي في معظمها كذلك، المُلك الخاص للأفراد.

وتوخياً للبساطة، في النقاش التالي سوف أطلق كلمة «عُمال» على جميع هؤلاء الذين ليسوا شُركاء في مُلكيّة وسائل الإنتاج – على الرغم من أن هذا لا يتطابق مع الاستخدام الشائع للمُصطلح. إن مالك وسائل الإنتاج في وضع يستطيع أن يشتري قوة عمل العامل. وعن طريق استخدام وسائل الإنتاج، يقوم العامل بإنتاج سِلع جديدة والتي تُصبح مُلكية الرأسمالي. إن النقطة الأساسية حول هذه العملية هي العلاقة بين ما يُنتجهُ العامل وما يُدفع لهُ من أجر، وكلاهما يُقاس من حيثُ القيمة الحقيقية. وبقدر ما يكون عقد العمل «حُراً»، فإن ما يتسلمهُ العامل لا يتم تحديده بالقيمة الحقيقية للسلع التي ينتجها، وإنما حسب الحد الأدنى من احتياجاته ومُتطلبات الرأسماليين لقوة العمل فيما يتعلق بعدد العمال المُتنافسين على الوظائف. من المهم أن نفهم بأنهُ حتى نظرياً أجر العامل لا تحددهُ قيمة عمله.

يغلب على رأس المال الخاص أن يُصبح مُتركزاً في أيدي قليلة، وذلك بسبب المُنافسة بين الرأسماليين من ناحية، وبسبب التطور التكنولوجي والتقسيم المُتزايد للعمل مما يُشجع على إنشاء تشكيلات أكبر من وحدات الإنتاج على حساب الوحدات الأصغر. والنتيجة لهذه التطورات ظهور قِلة من رؤوس الأموال الخاصة وهي القوة الهائلة التي لا يمكن التأكد منها بفاعلية حتى من قِبَل مجتمع سياسي مُنظّم ديمقراطياً. وهذا صحيح، نظراً لأن المنتسبين للهيئات التشريعية يتم اختيارهم بواسطة الأحزاب السياسية، والتي إلى حدٌ كبير تُموّل أو تتأثر بخلاف ذلك بالرأسماليين الخاصين الذين لأغراض عملية يفصلون الناخبين عن السُلطة التشريعية. والنتيجة هي أن نواب الشعب لا يقومون عملياً في الواقع بحماية مصالح الفقراء من أفراد الشعب. بالإضافة إلى أنهُ في ظل الظروف القائمة، يُسيطر الرأسماليون حتماً، بشكل مُباشر أو غير مُباشر، على المصادر الرئيسة للإعلام (من صحافة وإذاعة وتعليم). ولهذا إنهُ من الصعب جداً، وبالفعل في معظم الحالات مستحيل، على المواطن الفرد أن يتوصل إلى قرارات موضوعية وأن ينتفع من حقوقهُ السياسية.

ولهذا، فإن الوضع السائد في اقتصاد يتأسس على المُلكية الخاصة لرأس المال يتميّز بمبدأين رئيسيين: الأول، وسائل الإنتاج (رأس المال) وهي مُلك خاص ويتخلص منها المالكون حسب مصالحهم؛ والثاني، عقد العمل حُر. وبطبيعة الحال، ليس هُناك شيء أسمه مجتمع رأسمالي صِرف بهذا المعنى. وبوجه خاص، يجب مُلاحظة أن العُمال، من خلال النضال السياسي الصارم الطويل، نجحوا في تأمين شكل مُحسين نوعاً ما من «عقد العمل الحُر» لفئات مُعيّنة من العُمال. ولكن إذا أخذنا الأمر بكامله، فإن اقتصاد المرحلة الراهنة لا يختلف كثيراً عن الرأسمالية «الصِرفة».

تتم عملية الإنتاج من أجل الربح، وليس من أجل الاستعمال. لا توجد وثيقة اتفاق بأن جميع هؤلاء الذين لديهم القدرة والاستعداد للعمل سوف يكونوا في وضع يُمكّنهم من إيجاد فُرص العمل؛ ويوجد هناك دائماً تقريباً «جيشاً من العاطلين عن العمل». إن العامل دائماً في خوف من فقدان وظيفته. وبما أن البطالة والعُمال ذوي الأجور الزهيدة لا يؤسسون السوق المُربِح، فإن إنتاج السِلع الاستهلاكية محدود، والنتيجة هي مشقة العيش. وكثيراً ما ينتج عن

التقدم التكنولوجي مزيداً من البطالة بدلاً من تخفيف عبء العمل عن الجميع. دافع الربح، بالاقتران مع المُنافسة بين الرأسماليين، المسؤول عن عدم الاستقرار في تراكم واستخدام رأس المال الذي يؤدي إلى فترات من الكساد الحاد بشكل مُتزايد. وتُؤدي المُنافسة غير المحدودة إلى خسارة هائلة في العمل، وإلى تلك الإعاقة في الوعي الاجتماعي للأفراد الذي ذكرت سابقاً.

إن هذه الإعاقة للأفراد أعتبرها أسوء شرور النظام الرأسمالي. فنظامنا التعليمي بكامله يُعاني من هذا الشر. التوجه التنافسي المُبالغ فيه يتم غرسه في التلميذ، الذي يتمُ تدريبه على عِبادة النجاح المُكتَسَب كتحضير لمهنته المستقبلية.

أنا مُتأكد بأنهُ ليس هناك إلا طريقة واحدة للقضاء على هذه الشرور الخطِرة، وهي من خلال تأسيس الاقتصاد الاشتراكي، مصحوباً بنظام تعليمي يتم توجيهه نحو أهداف اجتماعية. وفي مثل هذا الاقتصاد، تكون وسائل الإنتاج مملوكة للمجتمع بذاته ويتم استخدامها بإسلوب مُخطط. إن الإقتصاد المُخطط، الذي يُنظّم الإنتاج وفق حاجات المُجتمع، سوف يوزع العمل المطلوب على جميع هؤلاء القادرين على العمل وسوف يضمن سُبُل المعيشة لكل رجل وإمرأة وطفل. تعليم الفرد، زيادة على رفع قُدراته الكامِنة، سوف يُحاول نظام التعليم أن يُنمي في الفرد الإحساس بالمسؤولية تجاه أقرانه في مواقع تمجيد السُلطة والنجاح في مجتمعنا الراهن. غيرَ إنهُ من الضروري أن نتذكّر أن الاقتصاد المُخطط ليس هو الإشتراكية بعد.

إن الاقتصاد المُخطط هذا ربما يكون مصحوباً بالاسترقاق الكامل للفرد. وتحقيق الاشتراكية يَتَطَلّب حلاً لبعض المشاكل الاجتماعية والسياسية الصعبة جداً: كيف يمكن، في ضوء مركزية السُلطة السياسية والاقتصادية بعيدة المدى، أن نمنع البيروقراطية من أن تُصبح مغرورة ومُتعملقة سلطوياً؟ كيف يُمكن حماية حقوق الفرد ومن ثم ضمان ثقل موازن ديمقراطي لسُلطة البيروقراطية؟

إن الوضوح حول أهداف الإشتراكية ومشاكِلُها لهُ أهمية قُصوى في عصرنا الإنتقالي هذا. وبما أن النِقاش الحُر وغير المُعوِّق حول هذه المشاكل قد أصبح في ظِل ظروف التحريم الشديد، فإنني أعتبر تأسيس هذه المَجلة خِدمة عامة مُهِمة.

التحضّر لا التخلف

قاسم الحلال

أحياناً يقف الانسان حائراً حول ما يجري في زمننا، فبمقدار ما تتطور المعارف والعلوم وتبلغ التقنيات أعلى درجات رقيّها، نندهش لهذه العقول الفقيرة التي أبى أصحابها السعي لفهم ما يجري، وكأنهم أقسموا على السير للوراءن أو المراوحة في أماكنهم.

ونبقى مقصرين في نقد هذا السلوك وإعطائه الصفات التي يستحقها، لأن هذه العقول لم تكتف بانتهاج سلوك متخلف وحسب، بل إنها تأخذ أركاناً وأمكنة تزين فيها صحة هذا المسلك فتستقطب عقولاً فتية، يصعب عليها فهم المنهج المتقدم الحديث؛ وتكتم نفس من يريد أن يقترب لاستخدام هذا الركن، وذلك بقصد تشويه العقول التي تناضل لأجل تنوير عقول تصرّ على خلق بيئة عاقلة مدركة لكل مفاصل الوعي والإدراك.

إننا نستغرب من أمة لا تنتج ولا تفسح مجالاً لغيرها كي ينتج، أمة تعيب على المنتجين والمبدعين والمعلمين والصناع وكل العاملين، أمة لا تؤمن بالحرية ولا بالديموقراطية ولا تتذوق الفنون وتستسيغ الموسيقى، أمة لا تحترم الجهود ولا التاريخ ولا المنجزات التي قام بها الإنسان بعد جهد، أمة تلجأ للتخريب بعد أن أدركت أنها أنجزت أموراً لأن العوامل الطبيعية والبديهية هي من أجبرها على هذا السلوك.

تتظاهر بعض الفرق الظلامية بأنها تنطق قول الحق لكي تساير الركب المتحضر المستنير وإلا سحقتها عجلة التطور، حيث أثبتت العلمانية صحة مواقفها ورؤاها حول الحرية والصناعة والإبداع والثقافة والعلوم والتحضر، ودورها في محاربة الظلم والاستبداد واحترام المناضلين وتاريخهم، واعتماد الديمقراطية كسبيل لوضع أسس الخروج من بوتقة الجمود.

علينا أن ندرك بأن عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء، علينا رغم الأخطاء أن ندفع للأمام، وأن نتحاور لكي نؤكد أننا نستطيع أن نتحدى الصعاب التي تعصف بنا، ولكي نكون قادرين على الخروج مما نحن فيه من تخلف وجهل، وأن يكون حوارنا مبنياً على فهم يكرّس التنمية والإزدهار ويصون النسيج الوطني للمجتمع.

العتب مرفوض

لو عاش آرثر رامبو في بلدٍ عربي وتحديدا في زمننا لاُعتُبِر «شويعرا» في بداية حياته، ولن يستحق الكثير من الإهتمام، كونه حسب خارطة عمره القصير كتبَ الشعر في مراهقته، وبالكاد دخل عمر النضج فتوقف عن كتابته. كان في الحادية والعشرين من عمره، حين انجذب نحو المغامرة في بلاد الشرق، لتحقيق أحلام أخرى غير الشعر.
بعد عامه الحادي والعشرين يمكن اعتبار الرجل ناضجًا، وزمام حياته أصبح في قبضة يده، إذن لماذا أعتبر شاعرا عظيما، حتى أن أجيالاً من الإنتلجنسيا عبر العالم تحمّست له، بمن فيها نخبنا العربية.

د.بروين حبيب

قرأتُ، مؤخراً، مقالاً للكاتب والناقد البحريني حسن مدن عن مصير بيت رامبو في عدن بعد أن تخلت عنه السفارة الفرنسية وتوقفت عن دفع إيجاره، رغم تحوّله لمركز ثقافي، متسائلاً هل تراها كانت ستفعل نفس الشيء لو أن البيت موجود على أراضيها أو في بلد أوروبي ؟

متحف رامبو أو بيت "العائلة رامبو" الذي عاش فيه آرثر التلميذ مع والدته وشقيقه وشقيقته بين سنتي 1869 و1875 وهي سنواته التي ميّزته وأبدع فيها أغلب نصوصه الشعرية موجود فعلاً في المدينة التي ولد فيها "شارلفيل"، وبالبيت تنظم معارض فنية ونشاطات ثقافية منها استقبال كُتّاب للتفرغ للكتابة.

الموضوع الذي أثاره د.مدن جعلني أتذكر بيوتاً كثيرة في بلاد العرب عبرها مشاهير، خاصة مشاهير الأدب و لكنّها جميعها لاقت المصير نفسه، ولا أعتقد أن إهمال السفارات لها نابع من نية سيئة، بقدر ما هو تأثير مجتمعاتنا السلبي عليها، فنحن أصلا مهملون في كل ما يخصنا، نهمل كتابنا، وفنانينا، نعاملهم بقسوة حتى آخر لحظة في حياتهم، بعضهم بمجرد أن ينطفئ نُطفئ الأنوار خلفه ليدخل قبره مرتين، فلماذا العتب على هؤلاء الأجانب لأنهم مقصرون تجاه ما نقصر نحن معه؟

عاشت الكاتبة البريطانية أغاتا كريستي في عدد من البلدان العربية لفترات قصيرة، وتركت بصْمتها على الأماكن التي نقلتها إلى أدبها، وأكدت كم كان هذا الشرق ملهماً لها، لإثراء أدبها ومنحه المزيد من الصفات التي ميّزته.

هل نعرف أين أقامت ملكة الأدب البوليسي البريطانية؟ شخصيا لا أعرف، وقد حاولت أن أجد شيئا عن طريق أبحاثي فلم أجد الكثير، سوى أنها عاشت في مصر والعراق وسوريا، وقد تنقلت بين مناطق عدة، في سوريا على سبيل المثال إذ زارت القامشلي، ودير الزور، والحسكة.

و ماذا بعد؟

الصراحة لا شيء، فالحرب مسحت معالم مدن بأكملها في العراق وسوريا، فهل بقي ما يهمنا أين عاشت أغاتا كريستي أو غيرها؟ حتى أهل تلك البيوت أبا عن جد حملوا ما خف وزنه وغلا ثمنه وغادروها، فهل سنبكي على بيت أقام فيه عابر سبيل فقط لكونه كاتب زارنا من بلاد الغرب؟

لست متشائمة، ولا متفائلة، أنا فقط أقف حيث لا ظلال لأي حلم لم يعد يتناسب مع فجائعنا الكثيرة وخيباتنا الأكثر. فقد تمنينا كثيراً أن تكون لشعوبنا أوطان آمنة، وبيوت لا تهبط على رؤوسهم بسبب غضب حكامهم، تمنينا أيضا أن يكون لشعرائنا وكتابنا بيوتاً في أوطانهم لا بيوتاً في منافيهم، ولكن ما دام هو ذا حالنا فلمّ نتألم حين نصغر في أعين غيرنا؟

إن المؤلم ليس أن نحافظ على بيت رامبو في عدن أو بيت نيكولاي فاسيليفيتش بيرغ في بيروت، أو بيت إيزابيل أبيرهارد في الجزائر؛ المهم قبل ذلك أن نحافظ على بيوت شعرائنا وكتابنا بكل الذخائر النفيسة التي تحتوي عليها.

ألم تنجب هذه الأوطان طه حسين وتوفيق الحكيم وإحسان عبد القدوس والجواهري؟ ألم تنجب أم كلثوم، وعبد الحليم، ووديع الصافي وفيروز وفاتن حمامة وأحمد مظهر؟

لقد استثمر الغرب في كل طاقاته الإبداعية، هناك مدن صغيرة تعيش فقط من مداخيل سياحية تقوم على إسم واحد لكاتب أو فنان، فيما يصعب أن نَعُدَّ نحن عدد من أهملناهم من عمالقة أبدعوا حتى آخر نفس من أنفاسهم، فلا نالوا التقدير الذي يستحقون ولا استفادت أوطانهم من بريق أسمائهم و تاريخهم الثري.

وحمداً لله أن نجيب محفوظ أخيرا أصبح له بيت يستقبل فيه محبيه من كل العالم، حيث جمعت آثاره، ورتبت أشياؤه، في متحف حمل إسمه وافتتح هذا الصيف قريبا جدا من بيته، وجُعل قبلة للكتاب والمثقفين والرسامين، ولعّل وعسى أن تكون هذه البادرة فاتحة خير لإعادة الإعتبار لأماكن كثيرة نشأ فيها كل أولئك الذين صنعوا وعينا وفرحنا وأمسكوا بأيدينا إلى أن وجد كل منا طريقه.

بالطبع كانت البحرين سبّاقة لترميم بيوت شعرائها، و أدبائها و فتحها لقوافل السواح القادمين إليها من كل العالم، لكن هذا موضوع آخر، أؤجله لحينه، فلطالما أردت الكتابة عنه، وعن فرادة التجربة فيه، لكن لعل شهادة غيري يكون لها الوقع الأجمل، من وقع كلامي كبحرينية تمدح بلادها، فقد عاش الكاتب الجزائري واسيني الأعرج تجربة الإقامة في إحدى هذه البيوت من أجل الكتابة، وأعتقد لديه ما يقوله، لكن حتما سيتفق معي أن لتلك البيوت سحرها الخاص، وأنّنا كشرقيين نجد فيها ما يحرّك عواطفنا، أكثر من بيوت مشاهير الأدب التي رأيت منها الكثير في لندن واليونان والدانمارك وكثير من العواصم التي زرتها، وأنا مفتونة ببعض كتابها، وقصصها الرّاسخة في ذاكرتي الأدبية والعاطفية معا...

فقد ظلت "بائعة الكبريت" تقرفص في قاع ذاكرتي إلى أن زرت متحف هانز كريستيان أندرسن، و أذكر كيف خرجت مسحورة بذلك العالم الصغير الذي صممه خصيصا المهندس الياباني الشهير كونغو كوما ليناسب مخيلة الكاتب ويقدمه لمحبيه وزواره وكأن الكاتب نفسه صممه.

وقد وقفت أمامه وأخبرته كما لو أنه يسمعني فعلا، بأنه كان على حق حين قال إن قصصه الخرافية للصغار و الكبار، حتى أني فهمت من خلال بيته وأشيائه ذلك توجهه الإنساني لنصرة الفقراء والضعفاء وعبقريته التي فهمتها أكثر أجيال تلت جيله.

إن فكرة الحفاظ على بيوت الأدباء جميلة، ولكنها حتماً لن تنجح إن قامت على فعل إرتجالي محض، ولنعد إلى بيت رامبو في عدن الذي تخلّت عنه السفارة الفرنسية رغم أنه لشاعر عظيم من شعرائها، و قد روى الشاعر العراقي شوقي عبد الأمير رحلته لإيجاد البيت والحفاظ عليه وتحويله لمركز ثقافي، وهي رحلة تستحق أن تروى على أوسع نطاق، لكنها رحلة تشبه مغامرة الشاعر نفسه في الشرق، رحلة لا معنى لها، لمغامر ولد ليكون شاعرا في باريس، لكنه اختار قدراً آخر، كتاجر للسلاح، و يا لغرابة الصدف، فالرجل كتب الشعر في بلاده، وحين أقلع نحو الشرق جاءه حاملا للبنادق!

بالطبع لا يمكن للفرنسيين أن يمولوا مشروعا كهذا، لا من باب الثقافة ولا من باب التذكير بالتاريخ، خاصة أن الهيئات الرسمية في عدن لم تهتم، ولو أن البيت وجد في أي بلد عربي فلن يهتم به أحد لا من الرّسميين ولا من غير الرسميين...بالتالي يطرح السؤال نفسه: لماذا كل هذا العتب على الفرنسيين؟!

الأخطاء الجميلة

مهدي سلمان

في المسلسل التلفزيوني الإسباني (لو لم ألتق بك) من إخراج بيلين ماسياس وأنتونيو كوادري، قصة رجل طلبت منه زوجته أن تستعير سيارته لتوصل طفليهما إلى المدرسة صباحاً، بحكم أن سيارتها ليست على حال جيدة، يرفض الرجل لأن لديه اجتماعا مهما في نفس الوقت، فتضطر المرأة أن تذهب بسيارتها المعطوبة ويقع لها حادث وتموت هي والطفلان.

الآن، والرجل غارق في الندم الشديد على هذا الخطأ العرضي الذي أودى بحياة زوجته وطفليهما، ويحمّل نفسه مسؤولية هذا الخطأ الفظيع، معتبراً أنه ارتكب جريمة إذ منع عنها مفتاح سيارته، تظهر له –وحاله هذي– فرصة عظيمة، إذ تقدّم له عالمة فيزياء يلتقي بها صدفة، فرصة أن يدخل أكوانا أخرى، ويشاهد ماذا سيحدث لو أنه تنازل وأعطى المفتاح لزوجته.

يدخل الكون الآخر، وعلى اعتبار أنه دخيل عليه، يذهب إلى شبيهه في هذا الكون، وينبهه إلى ما سيحدث لو أنه لم يعط الزوجة السيارة، يقتنع الشبيه، وتأخذ المرأة سيارة الزوج، لكن ويا للغرابة، يقع الحادث مرة أخرى!! وتموت هي والطفلان.

في الكون الثالث، يغيّر أمرا آخر، تتغير أحداث طفيفة، لكن الحوادث تقع، تموت والطفلان مرات، يموت هو مرات، تموت هي وحدها أحياناً، لكن لا كون خال من الحوادث، لا نهايات سعيدة بالمرة، كل النهايات تقع فيها الحوادث وتتكرر، وتتكرر، بصورة أو بأخرى، وكأن كل الحوادث تقع لا لأننا أخطأنا، بل لأننا لا نتصالح مع أخطائنا، ونمضي في السبل الأخرى التي تمنحنا إياها الحياة حين تسلب منا طريقاً ما.

ذلك المسلسل عالج جانب الشعور بالندم على خطأ ارتكبناه، ونحاول إصلاحه، لكن ثمة جانب آخر، هو تمجيد الخطأ، عدم الاعتراف به، تكراره أكثر من مرة، وتحمّل نتائجه الكارثية، مرة بعد أخرى، فقط لأننا لا نودّ الاعتراف بأنه كان خطأ.

ثمة فكرة مثالية فيما يخصّ بعض الأخطاء، حين يكون مغلفاً بهالة سحرية، هالة من المشاعر الجميلة، أو القيم النبيلة، أو الأخلاق الرفيعة، فتكون أمامه، وتعرف كيف هي النتائج الكارثية التي حدثت بسببه، لكنك لا تستطيع الاعتراف بخطئيته، تلقي بالتهمة على أي أمر آخر سواه، «لا يمكن أن يكون خطأً وهو بهذا الجمال» تقول في نفسك.

لكن ليس معنى الاعتراف هو أن تعيد الزمن للخلف، وتفعل عكس ما فكّرت فيه، وفعلته ساعتها، ليس معناه أن تخالف قناعاتك وقت الاختيار بين طريقين لتنجو في الطريق الآخر، وليس معنى الاعتراف بالخطأ إنكار قيَمه أو إنكار جماله، أو التنكّر له، إنما الاعتراف هو أن تبني عليه، تراجعه الآن كما حدث ساعتها، كما كان، تجربة خضتها وتعلّمت منها، وليس كما هو مثال لا يمسّ، وحنين لا يُحرّك.

يفترض بالاعتراف أن يحررك من أسر تكرار الخطأ لمرّات، بل يحررك من أسر التجربة الواحدة، كذلك الرجل في المسلسل الذي يعود مرة بعد أخرى، ولا يستطيع أن يصلح شيئاً، فقط لأنه لم يتصالح مع هذا الخطأ الذي ارتكبه. ليس الخطأ خطأ تماماً إلا حين تفعله وأنت تدرك نتائجه، أو جرّبت انعكاساته، ولكنك تظل تصرّ عليه، لأنك لا تريد التحرر من فكرة صوابيته. من فكرة الاعتراف بأنه يمكن أن يكون خطأ. ليس الخطأ خطأ تماماً إلا حين رغم كل شيء يظل ارتكابه بالنسبة لك أهم من نتائجه.

ما أزال أرى أن كثيراً من مشاكلنا نابعة من عدم اقتناعنا بأننا نخطئ، وأن لابد لنا من مراجعة ما قمنا به لتحديد ما إن كنا أخطأنا هنا في هذه الخطوة أو هناك في تلك الخطوة. كأنما هذا الأمر راجع إلى فكرة الوحي في التراث الديني المتشبعين نحن بنصوصه، الوحي الذي لا يخطئ، والعصمة التي لا يأتيها الباطل، وبهذا، تكون أخطاؤنا محسومة سلفاً، بحسب ما خالف المنهاج وفقط. ليس لدينا فكرة (الأخطاء الجميلة)، التي نفعلها، وبرغم صدقنا وإخلاصنا وقتها لما تقوم عليه من مبادئ، يمكن أن تكون خطأ، لأننا نظن أن ما هو جميل وحق وأخلاقي وشرعيّ، لا يمكن أن يكون خطأ، ولذا فهو لا يحتاج مراجعة.

لكن الخطأ حالة متحركة، إنها ليست القرار بذاته وحسب، بل كذلك ما يترتب عليه من نتائج، فقد يكون ما فعلناه في وقت ما صحيحاً –بحسب تقديرنا– في اللحظة التي اخترناه فيها، لكن بعدها بأيام أو أشهر، ترتّبت عليه نتائج كارثية، الآن، وبرغم اقتناعنا بأنه كان الخيار الأنسب وقتها، لكن علينا الاعتراف حين نشهد النتائج الموجعة له، بأنه كان خطأ، هذا إن كنا نوّد أن نسلك طرقاً أخرى غيره، نتخلّى عنه، نتصالح مع كونه خطأ، دون شعور بالندم، ولكن دون شعور بالتقديس الذي يعيق تحررنا منه، التمسك سيجعلنا نسلك الطريق ذاته، مصطدمين في كل مرة بالنتائج ذاتها، ودون أن نعترف، لن يكون بمقدورنا التحرر.

بعض القرارات مهما كانت جميلة، مهما كانت حقة وأخلاقية، لا بد من مراجعتها والخروج من هالتها السحرية إلى قسوة الواقع للتأكد من احتمالية أن تكون قرارات خاطئة، لا بد من تحمّل عبء المراجعة، عبء التفكير في الطرق الأخرى التي اعترضت الوصول إليها فكرة الاعتراف بأن هناك، في ذلك الأمر الجميل الذي حدث، قد يكون هنالك خطأ، أو أخطاء.

في الكتابة الروائية

في العام ١٩٢٨ كتب رولان بارت مقالة يدعو فيها إلى موت المؤلف، والهدف هو إعادة النظر في النص عامة والإبداعي بخاصة، وكيفية التعامل معه ليس من خلال المؤلف وما يحيط به من مؤثرات أدبية أو اجتماعية أو سياسية وغيرها، وليس إلى النص في بنيته اللغوية فحسب، ولكن النظرة إلى النص من قبل القارئ الذي ينبغي أن يكون قارئًا حصيفًا يحاكي النص ويحاوره، ويطرح عليه أسئلته حتى يتمكن من استنطاقه عبر التفسير والتحليل والتأويل، حتى الوصول إلى دلالات من خلال خبرته وثقافته ومعرفته والفنية والجمالية.

د. فهد حسين

كل عمل سردي بحاجة إلى مكوّنات تشيّده، وبحاجة إلى تقنيات ليكون نصًا فنيًا وجماليًا، وكيفية حضورها ونموها، والحاجة إلى الشخصيات والأحداث ومتطلبات الكتابة السردية شيء ضروري، وتأتي اللغة الكائن الحي الذي ينمو كلما تعددت إيحاءات الجمل ودلالاتها، بالإضافة إلى الحالات التي ينبغي وجودها في الشخصيات، أو ما يطلق عليها بلغة الجسد، مثل: الانفعال والحركة والملامح، والمستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وغيرها من العناصر ذات العلاقة بالشخصية، ولابد من التخييل بوصفه عنصرًا أساسيًا في البناء، والعاطفة التي تجعله مرتبطًا بالنص فكرة وشكلاً وتناولاً، وهو ارتباط يمسكه الكاتب ليقود به نحو مجموعة من القيم السائدة في المجتمع، وبين أوساط الأفراد، وكيفية معالجتها لتتحول من قيم ذات عواطف إلى قيم ممزوجة العاطفة بالعقل، مع إدراك دورها العفوي حينًا والقصد حينًا آخر.

وفي الوقت الذي نؤكد على أهمية الثقافة والقراءة والوعي بحركة المجتمع، فإننا لا نلغي الموهبة وأن كانت نسبة أقل نظير الخبرات والتجارب المكتسبة، لذلك يحدث في بعض الأحيان بوعي أو من دون وعي لجوء الروائي إلى توظيف بعض من حياته وتجربته الذاتية بعد تصنيفها، وأخذ ما يناسب منها إلى الموقف أو الحدث أو غيرهما، مع مزج هذا الأخذ ببعض من المتخيل، وهنا يتمثل دور الإبداع الذي يحفز الموهبة والقدرة على الكتابة والتخييل معا لكي تتفجر الطاقات الانفعالية، وتلك الأرواح الكامنة في الأشياء المادية وغير المادية من الكائنات المتعددة.

وهنا ينبغي النظر إلى الرواية بوصفها نصًا مفتوحًا لما له من تميّز في الفاعلية والحيوية الناشطة من خلال اللغة، فهو عملية إنتاج مستمرة، ينمو ويتطور بالقراءة الواعية، والتأمل الحصيف، وليس النص مادة ثابتة معدة مسبقًا للاستهلاك، إنما هو نص يقدم حالة من حالات الوجود الإنساني، وبخاصة الذي يتكئ على مرجعيات مختلفة ومتنوعة، ولا شك في مقابل العمل الإبداعي الراقي والعميق، هناك أعمال روائية تصبح علامة رائجة في السوق القرائية، وفي مقابل هذا الترهل في الإبداع والكتابة، وانتشار العمل السطحي، هناك أعمال أخرى لا تفكر في الانتشار إلا من خلال قارئ نموذجي، قارئ مشاكس بالمعني الإيجابي، قارئ نوعي، يطرح الأسئلة تجاه النص، هذه الأعمال الروائية هي أعمال خالدة، باقية، يبحث عنها النخبة والدارسون والمهتمون بالشأن الثقافي والأدبي، وحريصون على ارتقاء الإبداع.

والأعمال الروائية مهما كان نوعها وقيمتها ومستواها الفني فهي لا شك تتكئ على اللغة، أكانت محكية أم فصيحة، أم التي تزاوج بين الاثنتين بحسب الضرورة السردية، كما أنها أعمال تتخذ بعضها الوصف العادي الذي لا يخرج عن كون الوصف مكونًا سرديًا، وأخرى تهتم بالوصف الجمالي، ليكون هذا الوصف تقنية سردية وليس مكونًا سرديًا فحسب، أي مجرد حضور شكلي، وضرورة من ضرورات الكتابة السردية، فضلاً عن الشخصيات الورقية ومستوياتها المختلفة: التعليمية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، بالإضافة إلى المكان وطبيعة تكوينه، ورسمه إبداعيًا، وصفته إن كان هذا المكان شعبيًا أم مدنيًا، ريفيًا أم مدينًا، ضيقًا أم واسعًا، بدائيًا أم راقيًا، عامًا أم خاصًا، مفتوحًا أم مغلقًا، اختياريًا أم إجباريًا، أما الزمن فلابد أن يكون حاضرًا مساندًا ومعاضدًا للمكان، لذلك على الكاتب أن يعي كيفية التعامل مع الزمن وتمحوره، وأهمية مد خيوطه إن كان أفقيًا أم عموديًا.

أما عن مفهوم الكتابة باختصار هو عملية صياغة يقوم بها الكاتب بواسطة ما يرسمه وبخطط له في ذهنه أو متخيله تجاه الواقع المعيش أو المتخيل، وهو المرجع حيث يتعامل الكاتب في الكتابة مع المرجع بطريقة غير مباشرة؛ لأنه محكوم بمفاهيم وأفكار ومعتقدات معينة تؤدي دورًا في تحوير هذا الواقع، وهذا ما أكده كونديرا: « أن السبب الوحيد لوجود الرواية أنها تقول شيئًا لا يمكن أن تقوله إلا الرواية «( ).

ولكن هذا الجري وراء الكتابة الروائية سواء من قبل الشباب والشابات، أم من قبل الكتاب ذوي الخبرة والتجربة، يشير إلى أن الرواية لها قدرة الانتقال عبر الزمن لتكون في مقدمة الأجناس الأدبية من حيث الحضور والانتشار، والتلقي وإعداد الدراسات البحثية والنقدية قياسًا لما هو على أرض الواقع الثقافي والأدبي، وهذه القدرة لم تأت صدفة بقدر ما كانت الرواية قليلة الأحكام والقوانين وهشاشة فضائها الذي يسمح بدخول كل الأجناس الأدبية الأخرى، والعلوم البحتة والعلوم الإنسانية والمعلوماتية، واستطاعت أن تطوع القوانين لصالحها أكثر من انصياعها كاملاً إلى القوانين، من هذا المنطلق نجد الرواية تمارس دور التحولات، والتحديث المستمر كلما حاولت التعبير عن شيء مختلف، وبخاصة إذا ولجت قضايا مسكوت عنها من جهة، ومناقشة الواقع المعيش المتواري بشكل دقيق وعميق، وفيه الطابع الفني والجمالي من جهة، وليس الوقوف على القضايا بمجرد النظر إلى الواقع عبر انعكاس باهت أو معتم أو ليس فيه استفزاز للقارئ ليطرح أسئلته المتعددة والمتنوعة حين الدخول إلى عالم النص.

لقد حظي كاتب الرواية مكانة مرموقة كما كانت عند الشاعر، ليس على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العربي، بل على مستوى العالم، وإن ما تملكه الرواية هو قدرتها على احتضان كل الأجناس الأدبية، الأمر الذي يتطلب من الكاتب عامة، والروائي بشكل خاص أن تكون لديه

تراكم معرفي وثقافي ووعي اجتماعي

بتحولات المجتمع وتطوره، وبطبيعة مؤسساته من دون النظر إلى العمر الزمني بقدر ما يكون النظر إلى التجربة والخبرة والقراءة، وإن كانت كل هذه بحاجة إلى زمن يؤسسها ويؤطرها، وبهذا فإن السرد شغل الكتاب والمبدعين وجعلهم يقرأون واقع المنطقة بعد ما شهدت منطقة الخليج العربية تغييرات تاريخية مهمة كالطفرة النفطية وانحسارها، وحربي الخليج الأولى والثانية، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، ثم الأحداث التي عصفت بالعالم العربي من العام 2011، مما نتج عنها التفكير في طبيعة العلاقة مع الأخر، والتلاقي الحضاري والثقافي، ومشروع القومية العربية، وغربلة الكثير من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، والبحث عن مستقبل سياسي للمنطقة العربية، والعلاقة الجندرية في المجتمع، وغيرها من القضايا التي باتت حساسة ومهمة.

في خضم هذا السيل الجارف من الكتابات الروائية، هل سيأتي يوم يعلن فيه موت السرد، أم موت كاتب السرد؟ سؤال يثير الدهشة والاستغراب لأول وهلة، ولكن فعلاً، لابد من تدارك هذا النوع الأدبي، من خلال وقفة تأملية جادة نحو ما يكتب وينشر من أعمال سردية قصصية كانت أم روائية، وهنا لا أعني كل ما ينتج بالطبع، والملاحظ أن الكثير مما ينتج وينشر من أعمال سردية في منطقة الخليج العربي تميل إلى طرح القضايا الاجتماعية كالزواج والطلاق، والعلاقات الأسرية، والتعليم، وسلطة الأسرة والأب، والعلاقات العاطفية التي تجدها في معظم الكتابات السردية إن لم نقل كلها، وهنا نتساءل هل استطاعت الرواية الخليجية أن تحقق لها مكانة في عالم السرد العربي؟ وهل طرحت طموحات المجتمع وأفراده في ضوء بناء جدران من الأعراف والعادات والتقاليد الفنية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى؟ أم لا تزال في بداياتها، فلا تستطيع البوح بالمسكوت عنه على الرغم من ذلك البوح الذي برز في روايات الألفية الثالثة بشكل واضح وجلي؟ وفي خضم ذلك لاشك أن الكاتبة أو الكاتب يعي تمامًا أن هناك تباينات فنية وجمالية بين الروايات.

ويبقى الناقد تحت أي نظرية أو منهج حاضرًا واعيًا متأملاً لواقع الشخصيات التي تحيل كثيرًا إلى شخصيات الواقع المعيش وإن لم تكن موجودة أصلاً، أي علينا التأمل في دور كل من المرأة والرجل في العمل الروائي، سواء أكانت أدوارهما تحيل إلى أنهما فعلاً من يقوم بالفعل والحدث، أم هما موضوع الحدث نفسه، أم هما الاثنان يعملان على التعاون والمساعدة للقيام بالحدث، أم يسعيان إلى عرقلته، وحتى لا تموت الكتابة السردية في المنطقة لا بد أن يكون النص السردي مشحونًا بالرؤية الثقافية والتحليلية والنقدية المغلفة بعالم التخييل، مع توظيف فني وجمالي لتقنيات الكتابة السردية مؤولين ونحن في الألفية الثالثة رأي باختين حول حضور الأيديولوجيا في العمل السردي، إذ لا ينبغي النظر إلى المفهوم في سياقه السياسي، وإنما أن نضعه في كل السياقات التي تفرضها الرواية، ويفرضها سياق الكتابة السردية، لهذا فإنه يرى الإيديولوجيا منبعًا لكل مكونات النص، إنها أي الأيديولوجيا في النص وخارجه، وفي السبيل المؤدي إليه، فالأصوات والأبعاد والمواقع التلفظية وأجزاء الكلام هي في واقع الأمر تمظهرات متنوعة للأيديولوجيا.

من هنا نجد بعض الأعمال السردية في المنطقة ناقشت الثقافة الموروثة بين أفراد المجتمع، وطبيعة النظرة إلى الجنسوية والعلاقة بين الرجل والمرأة، ومفاهيم الأنوثة، والدور الذي ينبغي أن تلعبه المرأة من جهة، وموقف هذه الثقافة من جهة أخرى، وكذلك العلاقة غير الطبيعية عند الإنسان وهو في مجتمع تختلط فيه الجنسيات والأقوام وتتشابك الأعراق مما يشعر الإنسان بعض الأحيان بالاغتراب الذي قد يصل به إلى الخوف على الهوية الثقافية والاجتماعية، فضلاً عن الكتابة عن الآخر، أي لم تعد مناقشة الأطر الاجتماعية وموضوعاتها تأخذ المجال الحيوي والاستفزازي لدى المتلقي، بقدر ما تكون هناك أبعاد أخرى يحاول الكاتب البحث عنها وقراءتها سرديًا.

هناك ثلاث إشكاليات رئيسة مرتبطة بالنص الإبداعي عامة، وهي النص نفسه، وكاتب النص، ومتلقي النص، وفق المنظورات السردية المتمثلة في منظور الراوي، ومنظور الشخصيات، ومنظور الحبكة، ومنظور القارئ المتخيل؛ لأن النص الإبداعي عادة قد يخفي وراءه ذات المبدع، أو ذات الآخر، أو ذلك الصراع بين المبدع والكتابة نفسها وبخاصة قبل الشروع فيها، أو الصراع بين الذات والآخر، حيث كل المجتمعات الإنسانية منذ الخلقية وحتى قيام الساعة هي مجتمعات قائمة على الصراع، وعلى الجذب والقبول والرفض، وقائمة على الثنائيات والتقاطبات، والرواية مهما تنوعت أشكالها، وتعددت القضايا التي تناقشها تبقى الرواية متناولة الصراع إن كان صراعًا فرديًا أم جماعيًا، أو كان الصراع صراعًا اجتماعيًا أم نفسيًا أم سياسيًا أم اقتصاديًا أم دينيًا أم أيديولوجيًا، فإن كل هذا يعكس درجة الوعي الذي يتصف به كاتب النص الإبداعي والنص في وقت واحد.

نحن بحاجة إلى ممارسة التجريب الدائم في الكتابة السردية على عدة مستويات، التجريب على مستوى اللغة الكتابية، وكيفية توظيفها إن كانت محكية أم مناطقية إذا لزم الأمر، وأهمية هذا التوظيف بحسب المكون السردي، والتجريب في عملية توظيف التقنيات السردية ومكونات العمل بحيث يتحوّل هذا التوظيف من توظيف آلي تقليدي وسطحي إلى توظيف فني وجمالي، فحين نوظف المكان لا نقف عن ذكر المكان وما يضمه أو مدى استيعابه لشخصياته، وإنما أهمية هذا المكان بالنسبة إلى الشخصية في حالاتها المختلفة، والاهتمام بجمالية وصفه بأزمنة متعددة، أي ماذا يعني المكان للشخصية الحالمة أو المطمئنة أو المريضة أو المسجونة أو المهاجرة أو السائحة، أو المكتئبة وغيرها، وكيف التعامل مع هذا المكان أو ذاك في أوقات مختلفة ليلاً أو نهارًا أو صيفًا أو شتاء.

ولا ينبغي الاندفاع والسرعة في الكتابة والإصدار، وكأننا مصابون بمرض الاستسهال الكتابي، لذلك على الكتّاب الطامحين من الشابات والشباب، وحتى تكون لهم مكانة أدبية وإبداعية أن يعوا أهمية الكتابة الإبداعية والانفتاح الدلالي، والتعالق بين المتخيل والواقع المعيش والمتغير، ومن دون إغفال العلاقة بين الرواية وما يرتبط بها من علاقات أخرى كالبعد الاجتماعي أو التاريخي أو الثقافي أو السياسي أو الثقافي، ولكن إذا كان الماضي هو واقع مرّ عبر الزمن الفيزيائي، فالحاضر هو واقع ولكن غير مكتمل يجعل الكاتب والقارئ معًا في حالة قراءة مستمرة له، كذلك المستقبل الذي غالبًا ما يدخلك في المجهول. أما إذا جاءت الكتابات الروائية أو القصصية من دون وعي، ومن دون تجريب فإن ما تطرحه داخل جسدها لا يتعدى كونه عملاً تقريريًا.

قاعة السينما: من مكانٍ آخر، ننظر معًا

في قاعة السينما الباردة والمظلمة، وفي الكرسيّ المريح، ينتابني إحساسٌ خرافيٌّ بأنه لا يمكن لمكروه أن يصيبني هنا، وبأن الكوارث يمكن أن تتأجل إلى حين انتهاء الفيلم. لا أتصوّر السينما مكشوفة في العراء، كما كانتْ في أوّل أيامها عندما كانت شركة النفط «بابكو» تعرض الأفلام الدعائيّة في البراحات. أو كما في سينما السيارات في بعض الدول. لا أفهم السينما إلا كهفًا نشاهدُ فيه ضوءًا وظلالًا، نتلمّس الحقيقة من خلالها. هكذا أرى السينما، طقسًا مقدّسًا. وأداةً لفهم المجتمع والتواصل معه. إذ يهمّني أن أتواصل مع ضحكاتِ من في الصالة، مع صمتهم، ومع خوفهم.

أحمد رضي

لا تُعدُّ قاعةُ السينما مكانًا للتفاعلِ الاجتماعيّ، لكنّها ومن خلال الظلمة يُمكنُ أن تَجمع الأفراد في تجربة مشتركة عبر وسيطِ الشاشّة العملاقة، هي من بقايا الحداثة التي كانت تعمل على تجميع المتناثر في وحدة شاملة. بينما مع التطوّر التقني، الذي قدّم لنَا ما بعد الحداثة، أصبحتْ المشاهدةُ فعلاً متناثرًا وشخصيًا عبرالكومبيوتر والهاتف الذكي.

في أجمل وصف لمعنى الحب، يقول الفيلسوف الفرنسي "آلان باديو": "الحبُّ هو أن ننظرَ معًا، لا أن ننظر إلى بعضنا". إنه هكذا كما في الصورة الرومانسيّة كثيرة التكرار التي تصوّر عاشقين يجلسانِ متلاصقين يتأمّلانِ الغروب معًا. وهذا ما تفعلهُ السينما عندما ننظرُ معًا إلى الحُلم. تصبحُ قاعةُ السينما مكانًا ملائمًا للتعارف بين عاشقين. فعبر مختلف الأحاسيس المتنوّعة التي يتمُّ اختبارها من خلالِ طرفٍ ثالثٌ هو الشاشة، يمكنُ أن نفهمَ الآخر الذي يجلسُ بجانبنا.

نعرفُ أنّ ما يُعرضُ على الشاشّة محضُ تمثيل، ومع ذلك نشعرُ، في حال لو كانَ فيلمًا فنيًا، بأننا نكادُ نقتربُ من الحقيقة المغيّبة في الواقع. ممّا يجعل السينما حقيقيّة أكثر من الواقع نفسه.السينما بابٌ خفيٌّ للهرب، تفتحهُ فتجد نفسكَ في زمنٍ آخر، وفي مكانٍ آخر. وستعرفُ ما الذي افتقدتهُ حالما تشتعلُ الأضواء ويبدأ النّاسُ بالخروج. ستفتقد تلكَ الخفّة العظيمة التي عشتها. لتجدَ الأشياء من حولكَ بأبعاد حادّة وزمنٍ رتيب، وخاليةٍ من الموسيقى وزوايا النظر المتعدّدة. ستلتقطُ حوارًا يجري بالقرب منك بين زوجين، وستعتبرهُ لغوًا لأنك لا تُدركُ سياقه، ولا تستطيعُ التقاط وجهيهما بزوايا مقرّبة كما تفعلُ الكاميرا. وما من موسيقى في الأثير توضّح أو تؤكّد الخفيِّ من ظلال الكلام.

تلك هي صورة السينما المثاليّة في تخيُّلي، ولكنّ التجربة الواقعيّة مخيّبةٌ في كثيرٍ من الأحيان. إذ مع رداءة الأفلام، والإعلانات التجاريّة التي لم تقنع بتسويق ما لديها قبل بدء العرض، وإنما دخلت في الفيلم ذاته. الأفلام التجاريّة التي تعلّمنا كيف نرغب. بل وتختلقُ لنا الرغبات التي لا نعرفها. دوّامةٌ من الرغبات التي نلاحقها. تشاهدُ ابنتي فيلم "حكاية لعبة" مثلًا، فتشعر برغبة لامتلاك دمية "باز يطير».

إن أول قاعة سينما في البحرين كانت عبارة عن كوخ"عريش" على ساحل البحر في فترة العشرينات. ثمَّ أصبح لها مبنى طيني مستقل في الخمسينات، حتى غدتْ الآن مجرّد جزءٍ مُلحق في المجمّع التجاري في الغالب. وهذا قطعًا سيؤثر على نوعيّة الأفلام المختارة التي ستصبح أكثر تجاريّة. مثلما يحدث مع المكتبات الصغيرة التي يبتلعها المجمّع التجاري ليجعل من الكتب الأكثر مبيعًا هي الفاعلة والمتصدّرة بغض النظر عن قيمةِ محتواها. إنها من نوعيّة الأفلامُ التي تعلّمنا كيف نتصرّف، وكيف ننفعل، وماذا نرتدي، وما هو مهم. إنّ كل هذا يتطلّب وعيًا شقيًا، ليبحث عن حريّته فيما لا قدرة لهُ على ردعه .

ما تكونُ عليهِ الطبقاتُ الراقيّة، وما هو السلوكُ الراقي والذوق الراقي. هكذا مع موجةِ الأفلام المصريّة في الستينات، سيكون نمط البيت الراقي قريبًا من الشقق التي في الأفلام المصريّة. ومع ازدياد الاطلاع على الأفلام الأمريكية، سيقترب الذوق مما هو أمريكي.

كانت السينما هي الأداةُ الوحيدة آنـذاك للتعرّف على مجتمعات أخـرى، وحياة أخـرى. وهذا ما جعل الكاتب التركيّ "أورهان باموق" يذكرُ في كتابه "الكتاب الأسود" بأن السينما جعلتْ من لغة الناس مختلفة، ويعني باللغة هي الأشياء التي لا تقال مثل حركاتِ اليد والجسم حين يتخّذ وضعيّات لها دلالاتٌ معيّنة. ومن يعيشها يستطيعُ فهم ما تعنيه تلك اللغة. إلا أن الأفلام قضتْ عليها وأصبحت هنالك حركاتٌ مستوردة. تلجأ السينما الأمريكيّة، وقد أصبحتْ عالميّة، لشرح مغزى هذه الحركات كي يدرك كنهها من لا يعيش إطارها الثقافي. إنّ دلالة كلّ تلويحة أو غمزة أو طريقة وقوف معينة أو كيف يتصرّف من يريدُ أن يكون كوميديًا، أو كيف يغازل أو يتبجّح. كلُّ هذا يندثر ليحلّ محلّه حركاتٌ مستوردة.

كان هذا في نقد السينما، إلا أن الوضع أصبح أكثر تعقيدًا مع تعدّد وسائط العرض، وتضخّم الخيارات. أصبح لدينا إذاً لغاتٌ مختلفة. إنها بابل أخرى، وعبثًا نبحثُ عن ما يوحدنا عبر التنميط في الاستهلاك. "الناس تشتري الكتب، لأن آخرين اشتروا مثل هذا الكتاب، وتشاهدُ الأفلام لأن الآخرين يشاهدونها، وترتدي الملابس لأنها هي الرائجة. أمام هذا السيل من التنميط الاستهلاكي، والذي هو، ويا للمفارقة، يحثّ على التميّز والتفرّد. يبدو من هو خارج كلّ هذا، من مثل شيوخٍ بلغوا من العمرِ عتيًا، ولم يكن لهم حظٌ في التعليم والانفتاح. يبدون أكثر تفرّداً وأصالة. من كل هذا الشباب الذي يدّعي التفرّد.

كلّ هذا يجعلك شيئًا فشيئًا تهجر قاعة السينما المقدّسة، وتعتزل في صومعتك بحثًا تجربةٍ سينمائيّة تشبع الروح..

محنة راسكولنيكوف
في رائعة ديستوفسكي «الجريمة والعقاب»

حميد الملا

كل من قرأ رواية «الجريمة والعقاب» لفيودور دوستويفسكي، الواقعة في جزئين ينبهر من الأسلوب القصصي الرائع النابع من التحليل النفسي السيكيولوجي والدقة المتناهية في التحليل، إضافة الى الوصف الدقيق للأماكن والمحال والشوارع والأزقة والطرقات فى مدينة سانت بيترسبورغ الروسية، وكيفية توظيف ذلك في سرد الأحداث وربط ذلك كله ببطل الرواية راسكولنيكوف.

كأنما ديستويفسكي في تلك الرواية هو من قام بجريمة قتل المرابية العجوز عديمة الضمير آليونا ايفانوفنا من خلال الأفعال والكلمات والبواعث التى حدت به لقتلها، فالتصرف غير الواعى الذي قام به راسكولنيكوف يخالف المنطق الطبيعي للنفس البشرية السوية.

فكرة القتل نشأت في دماغه وترسخت ترسخا تحت ضغط وتشتت أفكاره منذ ان عاش تلك الحالة الصعبة التى أفقدته عقله واستولت على كيانه، تلك النوبات المتلازمة من وضعه الميؤوس منه: حالته المادية المزرية، عدم تمكنه من إكمال دراسته الجامعية بسبب وضعه المادي البائس، حالة الفقر التى تعيشها والدته وأخته بعد وفاة والده، بعد كل ذلك قفزت لذهنه فكرة القتل مما عجّل بتنفيذ خطته في قتل العجوز بعد أن رهن لديها أشيائه الصغيرة المتحصلة من والدته، آملا بعد ذلك ان يحرر نفسه من الفقر وأن يقوم بالعديد من الأعمال الخيّرة.

كلما توغلت قليلاً واقتربت من النهاية تجد نفسك من جديد فى بداية الحدث، كل ذلك بفعل الحالة النفسية لبطل الرواية وفوضى مشاعره وتناقضات تصرفاته وعدم اتزانه نتيجة للوضع الذي آل اليه بعد تلك الجريمة من صراع نفسي ووضع أشبه بشخص ممسوس، ضجر محزون لا يلوي على شيء وكأنه معطوب الذهب مصاب بحالة استغراق مَرضية تحاصره الكوابيس واضطراب استيقاظي.

اللغز المحيّر في هذا الإبداع للراوي هو أن من قام بالجريمة لم يكن لدواعي السرقة والمال، وهو الذي يتصدق بأي مبلغ يحصل عليه من والدته لمساعدة الآخرين ليعش هو فى فقر مدقع في غرفة أشبه بالجحر أكثر منها إلى مسكن، كما أن راسكولنيكوف ومن خلال الراوي بعيداً عن صحبة الناس ويتحاشى أية صداقة، كان في غمّ واهتياج معكر المزاج خبيث النفس مما ولد في نفسه شعوراً وأحاسيس غير طبيعية بالإمكان إدراكها للوهلة الاولى كعامل مساعد في ذلك الشعور بالإذلال والمهانة وأنتج حالة أقرب إلى الهوس والأمراض العصابية والذهنية، وهي أمراض تقع لمثل هؤلاء حيث يختلط الوعي باللاوعي لتصبح زلات اللسان والهفوات والأحلام تمثل ما يكبته الشخص من مشاعر خلال اليوم، مما يسبب بعض الاضطرابات والأمراض النفسية هو نشاط لاشعوري وأن الأسباب المؤلمة للشخص وسوء حالته تؤدي به لحالة هستيرية كما يقول العالم النمساوي سيموند فرويد.

فالحمى كانت تلازمه مصحوبة بهذيان وتركت له نصف وعي بين التذكر والنسيان بين الوعي واللاوعي مشغول البال مهموما، أموراً كثيرة تدعوه للقلق من فعلته حتى انه يظل نائما طوال اليوم دونما وعي، شديد الشحوب شارد الفكر متجهم النفس عكر المزاج، لقد كان متوتراً على أية حال بمشاعر وأفكار مشوشة وحالة معنوية مضطربة جداً.

والأكثر خطورة في حالات القتل هذه هو أن القاتل يرتبط بالميت يظهر له في الأحلام حياً، فيشعر عندئذ بالراحة لأنه لم يقتله أو يشعر بالرعب والتهديد ويخطط للعودة إلى قتله مجدداً، ويحدث له ذلك وكأن الميت يحوم كل ليلة حول وسادته يهمس له بلعنات أو توسلات.

تكمن براعة التصوير ودقته في كيفية قتل تلك العجوز المرابية في أن ديستويفسكي التقط مفاتيح روايته وعمل عليها ببراعة العالم العارف الخبير بدقائق الأمور المتعلقة بالجريمة والجريمة، وبمن ارتكب الفعل وردود الأفعال والنتائج المترتبة على هذا الفعل.

لم ينس دوستويفسكي تصويره البارع المبهر لكل دقيقة من دقائق حياة راسكولنيكوف قبل وأثناء قيامه بقتل تلك العجوز آليونا إيفانفنا والقلق البالغ الذي عاشه ويعيشه والحالة التى أدت به في نهاية المطاف إلى الإقدام على البوح بسر قتله للشرطة واعترافه بأنه من قتل العجوز وأختها اليزافيتا بضربات فأس.

ومع ذلك بقي أن نعي من تلك الرواية بأن دوستويفسكي وهو العبقري المبدع أراد أن يوصل للقارئ رسالة مفادها استحالة معرفة أعقد الكائنات الحية: الإنسان معرفة دقيقة وعلى لامحدودية تفكيره وأسراره ودواخله.

أما دويستويفسكي نفسه، فكانت له فلسفة في الحياة مغموسة بهموم الناس وتفاصيل حياتهم اليومية، فأعماله الأدبية تعبر وبشكل جلي عن تلك الهموم ورواية "الجريمة والعقاب" هي واحدة من هذه الروايات المعبرة عن تلك الفلسفة التى أوصلته الى الحكم عليه بالإعدام في العام 1849 ليخفف الحكم ويطلق سراحه بعد عشر سنوات.

تخاف أن تنام على فراش طمأنينتها..

أتساءل كيف لرجل مثلك أن يتحمل رقتي وقسوتي وجنوني ووعيي المخيف.. تفاهتي وبلاغتي.. جمالي وقبحي.. مزاجيتي وصفائي.. أليس في هذا كله – جرعات أمان منفردة –؟

أشعر طويلاً بأني كما عنوّن كونديرا إحدى رواياته؛ «كائن لا تحتمل خفته».. خيال ظل لامرأة باهتة.. امرأة لا يمتلك الناس من مصافحتها السريعة إلا عطرها الكثيف وكم أتوق أن تمتلك أنت من نظرتها العابرة سرّها الخفي.. (ربما) أنا المرأة التي تخاف أن تنام على فراش طمأنينتها ولكنها تشعر بأنها تأوي لضحكة عينيك وتغفو على صدر تنهيدة حانية من أهدابك .. المرأة التي اقتنعت أن قوس شفتيها مجرد فكرة ساخرة قبل أن تراك..المرأة التي تتناسى أن ضحكتها جرح غائر في وجهها بغيابك..؟ هي أنا أيضاً..! تخيّل أنها تريد أن تكون مفردة صغيرة تضمها بحنان صوتك.. أقول – ربما– بحب وتوجس.. لست لأنّي أخاف منك لكني أخاف مني..

أخاف أن أصدمك بهشاشتي حين تستدعيني بكائية طويلة أمام مشهد لحادث سيارة بشع أو حين يغمرني موقف لطيف.. ستجدها مفارقة غريبة أن يبكيني اللطف كما تبكيني القسوة؟ ستستغرب تسمري النازف أمام أفلام السينما التراجيدية في العروض الصباحية الخالية من الناس.. توّرم عيني التي تحب أنت زاويتها الناعسة المبتسمة وهي متدثرة بالاحمرار والانتفاخ إثر الخروج من أجواء الفيلم مختبئة خلف نظارة سوداء.. ثقلي وأنا أرتدي العناد وألتزم بالسكوت وقلبي يضج بنداءات الاستغاثة.. تصوراتي الميلودرامية للأحداث والسيناريوهات اليومية أمام قلبي الذي أحكم إغلاقه جيداً فيما تفتح شفتي ابتسامة مفتوحة الاحتمالات.. استدارتي عن وجه العالم – وكأنما التواصل مع البشر أحياناً يبدو لي حالة نضالية.. الكوابيس التي تجعلني أكره النوم وأدمن القهوة بشكل مريع ..

قد تزّم شفتيك صح؟ أرجوك لا تزمّها لأني احتميت بك ولن أتعب ذراعيك وهما يعانقان قلبي الشقي – ولو عناق واحد.. لا أريد أن ترى الجانب البشع من المرأة التي في حضرتك تصدّق بأنها جميلة بجانبيها المنير والحالك؟ المرأة التي توقفت طويلاً أمامك بانبهار خلف شاشة الواتساب وأنت تكتب لها أرق الكلمات؟

هل أبدو لك امرأة كثيفة مسرفة في شعورها؟ مشوّهة من الذكريات؟ مجنونة رغم أني لا أعتبرها ذماً .. أجبني بصراحة كيف أبدو لك.. لن يضيق صدري صدقني أعرف أني سيئة أحياناً ولا أود أن تشعر بأي جزء من المسؤولية أمام كلماتي أرجوك.. أخبرتك سلفاً أني أجنح للفوضى والجنون واللا منطق .. أضيق ذرعاً بالأشكال الهندسية الصارمة والقوانين الغبية.. وأنت تعرف جيداً الآن أني كافرة بأغلب الأشياء ولكني مؤمنة بشعوري بك مؤمنة بالتماس الذي نحسه معاً.. وأعرف أنك قد تضيق وتحب وتمل وتعشق وتكره وتشتاق وتتجنب وتشك وتوقن وتؤمن.. أحبذ أن أكون نفحة عطر تحبها على أن أكون قنينة مسك ضخمة جاثمة .. أود أن أكون مطر الصيف المنعش بعد اللهيب.. نسمة الهواء الباردة التي تريحك من الحرّ والقيظ لأني مثلك أحبّ الشتاء.. أفضل أن أكون الأغنية التي تجعل قلبك يلمع من شدة الحب على أن أكون الحديث الثقيل الذي تخوضه مجبراً مع أحدهم وتحت بنود الواجب الاجتماعي أو العشم العاطفي .. أنا لا أحتمل مجرد فكرة ضيقك.. ولا أحتمل إلا أن تكون أنت.. أنت الذي تحبه وأحبه.

بتول حميد

عود القصب

قصة قصيرة
جعفر الديري

كُنَّا نلعب بالكرة، حين أقبلت زوجة أبيه في عجلة مِن أمرها.

أمسكتْ ذراعه بشدَّة، وصرخت في وجهه:

– ألم أنهك عن اللعب مع هؤلاء.

ثم دفعته أمامها، وقد دمعت عيناه حرجا.

لم أحاول ولا أيٌّ مِنّ الأصدقاء، التحدُّث معه بشأن ما جرى. كنَّا نودُّه كثيرا، ونأنس بصحبته، عدا عن كونه يتيم الأم، نخشى على مشاعره وأحاسيسه.

والحقُّ أنَّه كان صبيًّا مميَّزا، فعلاوة على وجهه المليح وابتسامته الرائعة، كان أشدَّنا ذكاءا وحفظً للدروس. أمَّا زوجة أبيه فكانت معروفة بالشراسة وسلاطة اللسان، يخشى سطوتها الجميع، وأوَّلهم زوجها الذي وقع ضحية لاختياره السيء.

لكنَّ ما حدث أنَّ أحمد تغيَّر بشكل ملحوظ. صار يتجنّب الجلوس معنا، داخل المدرسة، وخارجها أيضا. حتَّى اذا انتقلنا إلى المرحلة الثانوية، انقطع عنَّا تماما.

حتى مستواه التحصيلي انتهى إلى الرسوب، فبينما انتقلت أنا وجميع الأصدقاء إلى الجامعة، فشل في الدراسة، وطـرد من المدرسة، فلم يجد أمامه عملا سوى صيد الأسماك.

في الجامعة سمعت الكثير عنه، وكلُّها أمور لا تشرِّف أحدا. لقد تشاجر مع أبيه، وترك المنزل، وتصاحب ومجموعة من أصدقاء السوء، قضَوا على كلِّ خلق حميد فيه، وعلَّموه كره الناس وبغضهم واحتقارهم.

وليس سوى بضع سنوات، صار بعدها أحمد من هؤلاء الذين لا يذكر اسمهم إلا بالسبِّ واللعن، خصوصا وأن زوجة أبيه وإخوته منها، اجتهدوا في النيل منه، ولم يتركوا صفة سيئة لم يلصقوها به، وقد حذا أبوه حذوهم، رغم أنَّه كان ولده البكر.

والواقع أنَّني نسيت أحمد بعد ذلك تماما، فلم أعد أذكر شيئا عنه، بعد أنَّ أصبحت زوجا وأبا، وتوظَّفت مشرفا اجتماعيا في إحدى المدارس الابتدائية، إلى جانب انشغالي بالعمل التطوُّعي.

ثمَّ جاء يوم حزنت فيه أشدَّ الحزن، فبينما كنت مشغولا في عملي، سمعت طرقا خفيفا على الباب، وحين رفعت رأسي عن أوراقي، شاهدت رجلا نحيفا، جميل الوجه، رغم شحوبه. يرتدي ثوبا أبيضا، ويضع على رأسه غترة دون عناية، يستأذن في الدخول.

وقفت مُرحِّبا به، فتقدَّم منّي بخطوات بطيئة، وهو يتمايل يمنة ويسرة كعود القصب. وأدركت أنَّه تعرَّض لعلاج قاس، أخذ منه حيويته وقوة جسمه ونضارة وجهه. وحين مدَّ يده بالسلام، عرفته على الفور، واستجبت لرغبته في العناق.

كان هذا هو أحمد، زميل الصبا. حدَّثني عمَّا جرى له. عن زوجة أبيه التي بالغت في إذلاله واحتقاره، فكانت تضربه أمام إخوته دون أن يحرِّك أبوه ساكنا. وكيف أنَّه هرب من جحيمها، إلى جحيم أشد حين عاش في كنف مجموعة من غلاظ القلوب، ازاد بهم كرها للناس، وافتعالا للمشاكل والمشاجرات، معذِّبا نفسه قبل غيره.

ثمَّ قرَّرَ أن يبدأ حياة جديدة، فانتقل للعمل في إحدى الدول الشقيقة. وتزوَّج وأنجب هناك. إلاَّ أن القدر نَفَس عليه سعادته، فاختطف منه ابنته ابنة العامين. ولم تلبث زوجه أن طلبت الطلاق. فرجع إلى بلده خائبا، ولم يجد أمامه سوى مهنة الصيد مرة أخرى.

وكان المرض قدْ حَلَّ بآلامه وجرعاته الرهيبة. فكافحه بشجاعة حتَّى شُفي. غيرَّ أنه عاوده قبل مدَّة. وهذه المرَّة وحشا كاسرا، أيقن معه أنَّه لا طاقة له على منازلته.

ثمَّ قال في مودَّة:

– لا أعلم لماذا طرأت على بالي وبقيَّة أصدقاء الصبا، ربّما لأنني عشت معكم أسعد أيام حياتي.

وواصل ولساني عاجزا عن الكلام:

– لقد أخطأتُ. ابتليت بزوجة أب، لا تخاف الله، لكنَّني استسلمت، ولم أحاول مواجهة مشاكلي. ان كلُّ ما أرجوه أن تغفروا لي جميعا ما تسببت به لكم من حزن وتعاسة.

ثم قال قبل أن ينصرف مودِّعا، وهو يغالب دموعه:

– أرجو أن تبلِّغ بقية الأصحاب اعتذاري، وتطلب منهم إبراء ذمتي.

وخرج فمضيت معه حتى باب المدرسة، ووقفت أنظر إليه حتى غاب عن ناظريَّ.

ومضت أسابيع معدودة، حين قرأت خبر نعيه. وحرصت على حضور جنازته. وهناك وجدت ليس فقط مَن كانوا قريبين منه، بل جميع من عرفه في صباه.

أحمد السعيد

تلويحة إلى زمن مضى

غدونا نعيش تحت ظِلال
يختلس الواحد منا قبلة عشق
ويواري وجههُ في الظلام
لنا أن نحيي زمنًا غابرًا
حين كان العشق يباح به
والشعر يتدلى منه الغزل
يحمله الجناح على عاتقه
فيهوى الحمام الكلام
قيل: إن السكون لها شرفٌ
وكان الشرفُ أن ترقصَ العاشقة
وقيل: إن الصمت لنا شرف
وكان الشرف أن يقال الكلامُ بلا خارطة
فأسمى كلام العقل ما قيل على مهل
وأحلى كلام القلب ما قيل على عجل

صندوق الصوت

محمد الصياد

حزين هذا التشيللو
فقد تصدعت أحباله الصوتية
من فرط الغناء للوطن الندي
فضة الأنبياء الواعدين،
قصائد الزيتون،
مهد اللغة، وتاجها

وطن
سرقوا ظل رأسه الظليل
ووجهوا للشمال خطاه
دون زاد لكراسة التاريخ
غير دم نجيب
سال على الصخرة المشرفة
من طفل مطهم بكوفية الإباء،
وحصاد ركام العابثين
الأدعياء

في حضرة الطفل
تشرق حجارة السجيل
وبالاً من بين يديه
على خُلب الأرض،
وتلهو الشمس الشريدة
من دفتر الرسم مع العاشقات

ربات الدم اكليل السماء
غرسن أصابعهن في الطين
زيتوناً ونخلاً
واستبدلن غبار الخرائب
بماء البخور والصنوبر

الطفل الكنعاني
ألهم هذا التشيللو
الغناء بمحضر العساكر
بهمس صاحب
يندلق من صندوق الصوت
بلادي عصية
عصية إلا على أطفالها.

واحة الفكر

أمطار هوبز

هشام عقيل

يمكننا، من دون مبالغة، اختزال فكر هوبز كله بالمطر. من جانب، هناك «أمطار هوبز» الشخصية: فمنذ 1642 حتى 1651، شهد هوبز حرباً اهلية في انكلترا ما بين الملكيين والبرلمانيين التي انتهت بإنتصار البرلمانيين، وبالتالي إعدام الملك تشارلز الأول وتنصيب اوليفر كرومويل حاكماً على انكلترا. يقال إن هوبز كان ملكياً ومناصراً للملكيين، ووقتها هاجر إلى باريس خوفاً من العواقب التي قد تذيل مواقفه السياسة. في باريس ألف كتابه (الليفايثان)، وأثناء عمله هذا الكتاب أصيب بمرض كاد أن يودي بحياته لولا حظّه.

في الجانب الآخر لدينا مفهوم آخر، ولكنه ليس غريباً عن الأول، حول «المطر» عند هوبز: إن الطريقة المثلى لوصف الحالة الطبيعية للبشر هي عبر النظر من خلال النافذة، والإدراك بأن الجو بكونه بالطبع متقلباً على الدوام ولا يمكن توقعه: من الممكن أن تمطر في أي وقت! لكن هنا علينا أن نحذر: أننا لا نتحدث عن قطرة أو قطرتين، كحادث عرضي لجو غير متوقع، بل يقوم هوبز بتصفية حسابه من اللحظة الأولى حين يقرّ بأن الحالة الطبيعية هي عبارة عن امتداد زمني لا لمناوشات، أو معارك (أمطار متفرقة)، هنا وهناك؛ بل هي عبارة عن المساحة الممتدة لإمكانية «تقلّب الجو» ليكون «ممطراً» في أية لحظة ممكنة؛ إنها الحالة الأبدية، بمعنى تكون الساحة الفراغية لهذه الإمكانية.

نحن فعلاً عند المفهوم الأبيقوري للفراغ بوصفه «عدم وجود أية عوائق» أو ببساطة «حرية من دون أية عوائق» لسقوط الذرات كالمطر بشكل فوضوي. هناك هذا الفراغ الحر للتنافس الشرس عند الأفراد، جميعهم يتصادمون في لحظة من اللحظات، وإن لم يحصل هذا بعد فإن المسألة هي ليست سوى مسألة وقت لا أكثر لتحين اللحظة التي يتحول فيه أخيك ذئباً شرساً عليك. قد تنكر ذلك، ولكنك تستعد لذلك كل ليلة حين تقفل أبواب منزلك، وتحتفظ بأغراضك الشخصية في خزانات لا أحد يعرف رقمها السري غيرك أنت (على الرغم أنك تعيش وسط من تثق بهم: عائلتك، زوجتك، أبنائك، إلخ..). هكذا هوبز يسأل: ألا تشجبون البشرية بأفعالكم العفوية هذه؟

إن هذه الحالة لا تعبر سوى عن حالة يكون فيه "الجميع ضد الجميع"، نشهد فيها ترابطاً ما بين ثلاث افعال مختلفة مسببة لهذه الحالة التعيسة: 1) التنافس (للإستيلاء والغزو)، 2) التردد أو الخجل أو الحياء (للدفاع عن النفس)، 3) المجد (للمكانة والرتبة). هنا يمارس الجميع حقه في أن يستولي على ما يستطيع الإستيلاء عليه؛ فالبشر متساوون من حيث المقدرات، فمن مقدرته البدنية قوية يمكنه أن يُهزم بحيلة ما، والعكس بالعكس. فحقّ الإنسان هو حقه تجاه كل شيء بما إنه ليس هناك اي مانع على الإطلاق؛ بالتالي، هذا الفراغ (هذه الحرية في الحركة) يصبح حرفياً حيث أن هوبز يبدأ بتفريغ كل معنى، ومقصد، وأصل، للبشر. ففي الحالة الطبيعة ليست هناك أية اخلاق، أو معايير (أو قيم) اخلاقية، يستند إليها البشر بما إنها – الأخلاق – نتيجة للسلطة نفسها، وينطوي ذلك على الصح، والخطأ، والعدل، والظلم، إلخ. هنا الأصل الذي يتحدث عنه هوبز فراغي محض، المساحة الزمنية التي تتمثل بحلول الجو السيء في أي وقت، وهو خاضع، بالفعل، إلى التفريغ الفلسفي.

ولكن لأن البشر قادرون على التفكير العقلاني، ولأنهم يثمنون سلامهم اكثر من حريتهم، تجدهم يبحثون عن السلام في وسط معمعان حرب "الجميع ضد الجميع"، وبذلك تجدهم يخضعون لقانون الطبيعة الأول (وقوانين الطبيعة هي 19 قانوناً): البحث عن السلام، بينما قانون الطبيعة الثاني هو: الدفاع عن النفس. ولكن حتى مع وجود رغبة في السلام كتلك، ومع وجود تعاقدات يؤسسها البشر لأنفسهم، إلا أنه لا يوجد هناك أي ضمان لديمومة هذه العقود التي يؤسسها البشر ما بينهم؛ بما إن تفكيكها هو سهل جداً (إما عند أحد طرفي العقد، وإما طرف خارجي أقوى يقوّض العقد بأكمله). لذلك يحتاج البشر إلى أن يظلوا متمسكين بهذا العقد (القانون الثالث للطبيعة)، وأن يبينوا إمتنانهم المتبادل لإلتزامهم بشروط العقد

(القانون الرابع)، وبالتالي يؤسس هوبز نظرية أخلاقية تنص بإختصار ألا يقوم المرء بشيء لا يتمناه على نفسه. لكن هذه القوانين، وهذا التعاقد، وإقامة مجتمع العقد، أو الكومونولث، لا معنى له على الإطلاق بغياب طرف خارجي يضمن تماسك هذا العقد ومعاقبة أي شخص حين يخرج عنه؛ بل يضمن بأن مجتمع العقد نفسه يحافظ على بقاءه، بمقابل أن يفوضه أفراد هذا المجتمع لأن يقوم بهذا الدور: الليفايثان.

هنا لا يكون العقد قائماً ما بين الأفراد والدولة (أو الليفايثان)، بل العقد يقوم ما بين الأفراد أنفسهم (ايّ ما بين مجتمع العقد نفسه)، بينما الدولة (أو الأمير) هو خارج العقد وغير محكوم به؛ عمله يقتضي الحفاظ على ديمومة العقد، عبر توفير الحماية العامة، وفي المقابل يحصل على حق مطلق (أيّ قوة مطلقة) في أن يوظف قوته بالطريقة التي يراها مناسبة (وهذا حق مفوض، ومكفول، من قِبل الأفراد أنفسهم الذين قبلوا أن يتخلوا عن حريتهم). هنا ننتقل من الجميع ضد الجميع إلى الجميع مع الجميع؛ من الحرب إلى السلام.

يؤدي، إذن، عنف ووحشية الليفايثان إلى عكس ما تبدو الأمورعليه؛ إنه قناة نحو السلام التام، بحيث يتمكن البشر من التعايش سلمياً ووفقاً لنظام أخلاقي لا يقوم الفرد فيه بما لا يريده أن يجري عليه. إن الليفايثان لا يأتِ كنتيجة للتنافس، بل لتعزيزه وتأطيره في حدود تعاقد تتسم بسلام مطلق؛ هنا الدولة القويّة المطلقة تستمد قوتها من وجودها لا أكثر، كوحش لم يرهُ احد ولكنه كفيل بأن يهدد الأطفال الصغار إذا تصرفوا بشكل سيء. إن هذه الدولة المتسعة في كل مكان، والتي تفرض نفسها فرضاً، وعلى رأسها الحاكم أو المجلس الحاكم الذي يحكم اعتباطياً (ولكنه مخول من قِبل الشعب ليقوم بذلك)، هي التي تسمح بالتنافس السلمي أن يحصل ما بين البشر: أن يكون الجميع مع الجميع لا الجميع ضد الجميع.

بهذا المعنى، كان هوبز يدرك – وذلك ربما يرجع لأنه كان في انكلترا – بأن التعايش السلمي، أو التنافس السلمي، لا يمكن أن يحصل بالفعل من دون وجود دولة قوية تضمن ذلك. نحن الآن نعلم بأنه على الرغم من وجود الملكيات المطلقة آنذاك (كما عند فرنسا واسبانيا مثلاً)، إلا أن الدولة الانكليزية لم تكن قوية بمثل معنى تلك الملكيات، بل بمعنى مختلف. فبجانب وجود سوق محلية قوية في انكلترا، كانت الدولة لا تتسم بما اتسمت به الملكيات الإقطاعية الإطلاقية آنذاك في تجزئة القوة السياسية وفقاً للمقاطعات، بل بمركزة السلطة السياسية عند الملك نفسه (تاريخياً لم تحمل الدولة الإنكليزية مثل التجزئة السياسية للمقاطعات واستقلاليتها). إن الحرب الأهلية الانكليزية، مثلاً، لم تكن ما بين دولة غيرمركزية ودولة مركزية؛ حيث الدولة الانكليزية كانت مركزية وموحدة بالفعل (على العكس من فرنسا مثلاً، التي حتى كانت في مركزيتها تمتلك "مقاطعات" ونظام برلماني غير موحد)، بل في تدخل "الملك" في البرلمان نفسه.

إن الليفايثان هو الدولة الحاضرة كلياً، ولهذا السبب الغائبة كلياً.. أيعني ذلك بأن عند هوبز أول تنظير للتنافس الحر؟ أمر غريب، لكن غير مستبعد!

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 143 ـ أكتوبر 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

لا تقرَبوا قلبَ يوسُفَ

فاطمة محسن

ليوسفَ قلبٌ من المسكِ
خالطه الحبُ
أثمرَ روحا من السنديان

فلا تقرَبوا قلبَ يوسفَ
.....
.....
لاتقربنَّ
إليه
بدونِ رغيفٍ من الصدقِ
أو كوكبٍ من سلام

له من بياضٍ على كفةِ القلبِ
يوشك أن يَرسمَ الصبحَ فينا

ليوسفَ قلبٌ من الماءْ
يطهرنا كلَّ يوم من الشوكْ
يصلي علينا إذاً مانسينا الصلاةْ

له شرفتان تضِجانِ بالبوحِ
كم أشتهي لو ينامُ الربيعُ هناك
وتنسى الفصولُ الكلامْ
يجيء إذا مازرعَنا المطر
يخبيء في راحتينا المساء
فترقُصُ أرجوحةُ الغيمِ فينا
ويحصُدُ كلَّ الموسيقى نَجوما
ليزرعَها في سماءِ النهار

يُطِلُ علينا ...
فيخجلُ من صبرِنا الصبرُ فيه

نرتلُ ترنيمةَ الليلِ
يوسفُ ... لا تدعي الجهلَ
إني رأيتُكَ في العلم
هذي الحروفُ تُصَيرك العرشَ
كن كيفما رسمتك القصيدةْ
قميصا أداريه
قد فتنتكَ الأصابعُ والجرحُ ماعاد
ينزِفُ

يوسفُ
لا ينبغي أن أطيلَ على بابِ قلبي
القميصُ سيفضحني

أردُ يا... كلَّ يوم تجيئين بالعطرِ
هل نامَ بالقربِ منكِ بياضٌ

فلا تقَربي...

لو تعرفينَ بأن البنفسجَ يسكنُ فيه
وأن البساتينَ قد غيرتْ لونَها
كلُّ المسافاتِ قد تنهضُ الآن
تعاتبُك ... قلبُه اليومَ تفاحةٌ
فلا تقْضِميه

وأنتن يا ....
لا تقَربن
أحقا رأيتُن قلبي يقطّعُ أوصالهْ
يمدُ فساتينَه... لتختالَ بالنبضِ أو
تستحي من ضياهْ

أحقا ستأخذني
موجةُ العِشقِ
قافلةً من غناء

سهرتُ مع الجفنِ أسألُه
كيدُكُن أم الحبُ؟
أقرأُ في كفكُن صلاتي
أردُ يوسفَ في كلِ فرضٍ
وأهُدي
قواريرَه العطرَ

كما ينبغي للفصولِ
سأروي حكايتَك الوقت
وتنظرني
عينُك اليومَ عاشقةً
يرقصُ الموجُ فيها نخيلا

يوسفُ
تبْ
إني أخافُ مرورَ الفصولِ
الشتاءُ وشيكٌ
وصيفٌ يفتشُ في
البئرِ عن أخوةٍ أو نساءْ
فتبن
وتبن
ولاتسْقُطَن بيوسفَ ...
البئرُ ترجفُ
هل تعيدُ الحكايةَ؟
أم تستريحْ

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com